وأشْواط بينَ المروَتَيْن إلي الصَّفَا وما فيهما من صُورةٍ وتَماثلِ [1]
ومن حجَّ بيتَ اللهِ من كلِّ راكبٍ ومن كلِّ ذي نَذرٍ ومن كل راجلِ

وبالمشْعَرِ الأقْصَى إذا عَمدوا له إلالٌ إلى مفْضَى الشِّراج القوابلِ [2]
#وتَوْقافِهم فوقَ الجبالِ عَشِيَّةً يُقيمون بالأيدي صدورَ الرواحلِ
وليلةِ جَمْعٍ والمنازلِ من مِنى وهل فوقها من حُرْمة ومنازلِ [3]
وجَمْعٍ إذا ما المُقْرَبات أجَزْنَه سِراعا كما يخرجنَ من وقعِ وابلِ [4]
وبالجمرةِ الكبرى إذا صَمدوا لها يَؤُمُّون قذفاً رأسَها بالجَنادلِ
وكِندةَ إذ هُم بالحِصاب عشية تُجيز بهم حُجاجُ بكرِ بن وائلِ [5]
حليفان شدَّا عَقْدَ ما احتلفا لـه وردَّا عليه عاطفاتِ الوسائل
#وحَطْمِهم سُمرَ الرماحِ وسرحه وشِبْرِقَه وَخْدَ النعامِ الجوافلِ [6]

---

1 الأشواط : جمع شوط ، الجري من البداية إلى الغاية مرة واحدة و المرتين الصفا والمروة فهو من باب التغليب كالأبوين للأب والأم .والتماثل : التماثيل أسقط ياءها ضرورة.

2 المشعر: عرفة . الإل : جبل بعرفات . والشراج : جمع شرج وهو مسيل الماء. والقوابل : المقابلة .

3 جمع : المزدلفة .

4 المقربات : الخيل الكريمة التي تقرب مرابطها من البيوت . الوابل : المطر الشديد.

5 الحصاب : مكان رمي الجمار.

6 الحطْم : الكسر. والسمر: يقال فيه : سمر وسمر بضم الميم وسكونها ويجوز نقل ضمة الميم إلى ما تبلها إلى السين . وكذا وقع في الأصل بضم السين ، غير أن هذا النقل إنما يقع غالباً فيما يراد به المدح أو الذم نحو حسن وقبح . كما قال : حسن ذا أدبا. وجائز أن يراد بالسمر ههنا جمع أسمر وسمراء ويكون وصفا للنبات
- وانظر كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري . وشبرقة : وهو نبات يقال ليابسه : الحل ، والرطبة : الشبرق .

فهل بعد هذا من مَعَاذٍ لعائـذ   وهل من مُعيذٍ يتقى اللّهَ عاذلِ
يُطاع بنا أمرُ العدوِّ ودَّ أننـا   تُسدُّ بنا أبوابُ تُركٍ وكابلِ[7]
كذبتمْ وبيتِ اللّه نترك مكــة   ونَظْعنُ إلا أمرُكمِ فى بلاَبلِ[8]
كذبتم وبيتِ اللّه نُبْزي محمـدا   ولمَّا نطاعنْ دونه ونناضلِ[9]
ونسلمه حتى نُصَرَّع حولـَه   ونُذْهَل عن أبنائِنا والحلائل
وينهض قوم فى الحديد إليكمُ   نهوضَ الرَّوايا تحتَ ذات الصلاصل[10]
وحتى ترى ذا الضَّغْنِ يركب رَدْعَه   من الطَّعنِ فعلَ الأنْكَبِ المتحَامِل[11]
وإما لعَمْرُ اللّه إن جَدَّ مـا أرى   لتَلْتَبِسَنْ أسيافُنا بالأماثَل
بكَفَّىْ فتى مثل الشهاب سَمَيْدعٍ   أخى ثقةٍ حامى الحقيقةِ باسل[12]
شهوراً وأياماً وحولاً مُجَرَّمـا   علينا وتأتى حِجَّةٌ بعدَ قابل[13]
وما تركُ قومٍ ، لا أبا لك ، سيدا   يحوط الذِّمارَ غير ذَرْب مُوَاكِل[14]

وأبيضُ يُستسقَى الغمامُ بوجهـه   ثمالُ اليتامى عِصْمةٌ للأرامل[15]
يلوذُ به الهُلاَّف من آلِ هاشـم   فهم عندَه فى رَحْمةٍ وفواضلِ

---

7 ترك وكابل : جيلان من الناس .

8 البلابل : وساوس الهموم .

9 نبزي : نسلب ونغلب ، ونبزي محمداً أي نسلبه ونغلب عليه .

10 نهوض الروايا. هي الإبل تحمل الماء واحدتها: راوية، والأسقية أيضا يقال لها: روايا، وأصل هذا الجمع : رواوي ثم يصير في القياس : روائي مثل حوائل جمع : حول ، ولكنهم قلبوا الكسرة فتحة بعد ما قدموا الياء قبلها، والصلاصل : المزادات يسمع لها صلصلة بالماء.

11 الضغن : العداوة، ويركب ردعه : يخر على وجهه صريعا. والأنكب : المائل .

12 السميدع : السيد من الرجال .

13 المجرم : الكامل .

14 الذمار: الحمى . الذرب : هو مخفف من ذرب والذرب ، اللسان الفاحش المنطق ، والمواكل الذي لا جد عنده فهو يكل أموره إلى غيره .

15 ثمال اليتامى، أي : يشملهم ، ويقوم بهم ، يقال : هو ثمال مال أي يقوم به .

لَعَمْري لقد أجرى أسَيد وبَكْرُه إلى بُغضِنا وجزّآنا لآكلِ
وعثمانُ لم يَرْبع علينا وقُنفُذ ولكن أطاعَا أمرَ تلك القبائلِ[16]
أطاعا أبَيًّا وابنَ عبدِ يغوثِهم ولم يَرْقُبا فينا مَقالةَ قائل
كما قد لَقِينا من سُبَيْعٍ ونوْفلٍ وكلٍ تولّى مُعْرِضاً لم يجامل
فإن يُلْقيا أو يُمكنِ اللّهُ منهما نَكِلْ لهما صاعاً بصاعِ المُكايل
وذاك أبو عمرو أبى غيرَ بُغْضِنا ليظْغنا فى أهلِ شاءٍ وجاملِ[17]
يناجى بنا فى كلِّ مَمْسَى ومُصْبَح فناجِ أبا عمرو بنا ثم خاتِل
ويُؤْلى لنا باللّهِ ما إن يَغُشنا بَلى قَد نراه جهرةً غيرَ حائلِ[18]
أضاق عليه بغضُنا كلَّ تَلْعَةٍ من الأرضِ بين أخْشُبٍ فمجادِلِ[19]
وسائلْ أبا الوليدِ ماذا حَبَوْتَنا بِسَعْيِك فينا معْرِضاً كالمخاتِل
وكنتَ امرأ ممن يُعاش برأيِه ورحمتِه فينا ولست بجاهلِ
فعتبةُ لا تسمعْ بنا قولَ كاشحٍ حسودٍ كذوبٍ مُبْغِضٍ ذي دَغَاوِلِ[20]
ومَرَّ أبو سفيان عنى مُعْرِضاً كما مَرَّ قَيْلٌ من عِظامِ المَقَاوِلِ

---

16 لم يربع : لم يقم .

17 ليظغننا في أهل شاء وجامل . الشاء والشوي : اسم للجمع مثل الباقر والبقير، ولا واحد لشاء والشوي من لفظه ، وإذا قالوا في الواحد: شاة، فليس من هذا، لأن لام الفعل في شاة هاء بدليل قولهم في التصغير: شويهة، وفي الجمع شياه ، والجامل اسم جمع بمنزلة الباقر.

18 يؤلي : يقسم .

19 التلعة : ما شرف من الأرض . والأخشب : أراد الأخاشب وهي جبال مكة وجاء به على أخشب لأنه في معنى أجبل ، مع أن الاسم قد يجمع على حذف الزوائد ويصغر كذلك ، والمجادل : القصور والحصون في رؤوس الجبال . كأنه يريد ما بين جبال مكة فقصوا الشام والعراق ، والفاء في مجادل تعطى الاتصال بخلاف الواو كقوله * بين الدَخول فحومل ". وتقول : مطرنا بين مكة فالمدينة إذا اتصل المطر من هذا إلى هذه ، ولو كانت الواو لم تعط هذا المعنى .

20 الدغاول : الغوائل .

يَفِر إلى نَجْدٍ وبَرْدِ مياهِه ... ويزعُم أننى لستُ عنكم بغافلِ
ويخبرُنا فِعْلُ المُناصِح أنه ... شفيق ويُخفى عارماتِ الدواخل[21]
أمِطْعمُ لم أَخْذُلْك فى يوم نجدةٍ ... ولا مُعْظِم عندَ الأمورِ الجلائل
ولا يومَ خَصْمٍ إذا أتوك أَلِـدَّةً ... أولِى جَدَل من الخصومِ المَساجل[22]
أمُطْعِمُ إن القومَ ساموك خُطَّةً ... وإنى متيِ أوكَلْ فلَستُ بوائلِ[23]

جزى اللّهُ عنا عبدَ شمسٍ ونَوْفَلاً ... عقوبةَ شر عاجلاً غيرَ آجل
بميزانِ قِسْطٍ لا يُخَسُّ شَعيرةً ... له شاهدٌ من نفسِه غيرَ عائل[24]
لقد سَفِهتْ أحلامُ قومٍ تبدَّلوا ... بنى خلفٍ قَيْضاً بنا والغَياطل[25]
ونحنُ الصميمُ من ذؤابةِ هاشم ... وآل قُصَىٍّ فى الخُطوبِ الأوائل
وسهمٌ ومخزوم تمالوا وألَّبُوا ... علينا العِدَا من كلِّ طِمْل وخاملِ[26]

---

[21] العارمات : الشديدات . والدواخل : التمائم .

[22] أولي جدل من الخصوم المساجل : يروى بالجيم وبالحاء فمن رواه بـالجيم فهو من المساجلة في القول ، وأصله في استقاء الماء بالسجل ، فكأنه جمع مساجل على تقدير حذف الألف الزائدة من مفاعل ، أو جمع مسـجل بكسـر الميم ، وهو من نعت الخصوم ،
ومن رواه المساحل بالحاء، فهو جمع مسجل وهو اللسان ، وليس بصـفة للخصـوم ، وإنما هو مخفوض بالإضافة، أي، خصماء الألسنة .

[23] سامه خطة : كلفه بها. . والوائل : الناجي .

[24] العائل : الحائر. يخس شعيرة، أي : ينقض ، والخسيس : الناقص من كل شئ ، ويروى في غير السيرة : يحص بالصاد والحاء مهملة من حص الشعر: إذا أذهبه .

[25] القيض : العوض ، والغياطل : بنو سهم ، لأن أمهم الغيطلة، وقد نسبها، وقيـل : إن بني سهم سمرا بالغياطل ، لأن رجلا منهم قتل جانـا طـاف بـالبيت سـبعاً، ثـم خرج من المسجد فقتله ، فأظلمت مكـة، حـتى فزعـوا مـن شـدة الظلمـة الـتي أصـابتهم . والغيطلــة : الظلمــة الشــديدة، والغيطلــة أيضــاً : الشــجر الملتــف ، والغيطلــة : اختلاط الأصـوات ، والغيطلــة : البقــرة الوحشــية، والغيطلــة : غلبــة النعاس .

[26] الطمل : اللص، كذا وجدته في كتاب أبي بحر، وفـي العيـن . الطمـل : الرجـل الفاحش، والطمل والطملال : الفقير، والطمل : الذئب (عن الروض الأنف).

فعبدُ مناف أنتم خيرُ قومِكم فلا تُشركوا فى أمرِكم كلَّ واغِلِ[27]
لعَمْري لقدٍ وهنتمُ وعَجَزْتم وجئتم بأمر مُخْطئ للمفاصلِ[28]
وكنتم حديثاً حَطْبَ قدرٍ وأنتم ال آن حِطابُ أقدُرٍ ومَراجل
ليَهْنِئْ بنى عبد مناف عَقوقُنا وخذلانُنا وتركُنا في المعَاقلِ
فإن نك قوما تَثئِر ما صنعتمُ وتَحتلبوها لِقْحَةً غيرَ باهلِ[29]
وسائط كانت في لُؤيِّ بن غالبٍ نفاهم إلينا كلُّ صقر حُلاحِل[30]
ورهط نُفَيل شَرُّ مَنْ وطئَ الحَصى وألأم حافٍ مِنْ مَعد ونَاعل
فأبلغْ قُصيا أن سيُنشر أمرُنا وبَشِّر قصيّاً بعدَنا بالتخاذل
ولو طرَقت ليلاً قُصيا عظيمةٌ إذا ما لجأنا دونَهم فى المَداخلِ
ولو صَدقوا ضَرْبا خلالَ بيوتِهم لكنَّا أسَى عندَ النساءِ المَطافِل[31]
فكلُّ صديقٍ وابنِ أختٍ نعدُّه لَعَمْري وَجَدْنا غِبَّه غيرَ طائل
سوى أنَّ رهطاً من كلابِ بنِ مُرة بَراء إلينا من معقَّةِ خاذلِ[32]

---

[27] الواغل : الهاجم على القوم في شرابهم ولم يُدْع .

[28] مخطئ للمفاصل : بعيد عن الصواب .

[29] نثئر: نأخذ بثأرنا. واللقحة : الناقة ذات اللبن والباهل : الناقة المباحة للحلب . يقال : ناقة مصرورة، إذا كان على خلفها صرار يمنع الفصيل من أن يرضع ، وليست المصراة من هذا المعنى، وإنما هي التي جمع لبنها في ضرعها، فهو من الماء الصري ، وقد
غلط أبو علي في البارع ، فجعل المصداة بمعنى المصرورة، وله وجه بعيد، وذلك أن يحتج له بقلب إحدى الراءين ياء مثل ، قصيت أظفاري ، غير أنه بعيد في المعنى،وقالت امرأة المغيرة تعاتب زوجها، وتذكر أنها جاءته كالناقة الباهلة التي لا صرار على أخلافها، أطعمتك مأدومي وأبشتك مكتومى، وجئتك باهلاً غير ذات صرار، وفي الحديث : " لا تورد الإبل بهلا، فإن الشياطين ترضعها " أي، لا أصرة عليها.

[30] الحلاحل : السيد الشجاع .

[31] الأسى: جمع أسوة، والمطافل : ذوات الأطفال .

[32] قوله : براء إلينا من معقة خاذل . يقال قوم براء وبراء بالفتح ، وبراء بالكسر، فأما براء بالكسر فجمع برىء، مثل كريم وكرام ، وأما براء فمصدر، مثل سلام والهمزة فيه وفي الذي قبله لام الفعل ، ويقال : رجل براء ورجلان براء، وإذا كسرتها أو ضممتها لم يجز إلا في الجمع ، وأما براء بضم الباء: فالأصل فيه برءاء مثل كرماء فاستثقلوا اجتماع الهمزتين ، فحذفوا الأولى، وكان وزنه فعلاء، فلما حذفوا التي هي
لام للفعل صار وزنه فعلاء، وانصرف لأنه أشبه فعالا، والنسب إليه إذا سميت به ، براوى، والنسب إلى الآخرين بَرائي وبِرائي ، [بفتح الباء وكسرها] وزعم بعضهم إلى أن بُراء بضم أوله من الجمع الذي جاء على فُعال ، ومنها هذه الألفاظ ، فرير وفرار وعرن وعران ، وقال النحاس : براء بضم الباء.

وهَنَّا لهم حتى تبددَّ جمعُهم ويَحْسُر عنا كل باغٍ وجاهلِ
وكان لنا حوضُ السقايةِ فيهمُ ونحنُ الكُدى من غالبٍ والكَواهلِ[33]
شباب من المطيِّبين وهاشمٍ كبِيضِ السيوفِ بينَ أيدِي الصَّياقِل
فما أدركوا ذَحْلاً ولا سفكوا دَما ولا حالفوا إلا شِرارَ القبائل
بضرْبٍ ترى الفِتيانَ فيه كأنهم ضَوَارِي أسودٍ فوق لحمٍ خَرادِلِ[34]
بنى أُمَةٍ محبوبةٍ هِنْدِكيَّةٍ بنى جُمَح عُبَيْد قيسِ بنِ عاقلِ[35]
ولكننا نسل كرامٌ لسادة بهم نُعِيَ الأقوامُ عندَ البَواطلِ
ونعم ابنُ أختِ القومِ غيرَ مُكَذَّبٍ زُهَير حُساماً مُفْرَداً من حَمائل

أشَمُّ مِنَ الشُّمِّ البهاليلِ بنتَمِي إلى حسب في حَوْمةِ المجدِ فاضل
لعَمْري لقد كُلفتُ وَجْداً بأحمد وإخوتِه دَأبَ المحِبِّ المواصلِ
فلا زال في الدنيا جمالاً لأهلِها وزَيْناً لمن والاه ربُّ المَشاكلِ
فمن مِثلُه فى الناس أيُّ مُؤَمَّلٍ إذا قاسه الحكامُ عندَ التفاضلِ
حليم رشيدٌ عادل غيرُ طائشٍ يوالى إلهاً ليسَ عنه بغافلِ
فواللّهِ لولا أن أجيءَ بسُبَّةٍ تُجَرُّ على أشياخِنا فى المحافلِ
لكنا اتبعناه على كلِّ حالة من الدهرِ جِدًّا غير قولِ التهازلِ
لقد علموا أن ابنَنا لا مُكذَّبٌ لدينا ولا يُعْنَى بقوْلِ الأباطلِ

---

[33] الكُدى: جمع كُدية، وهي الصخرة العظيمة، والكواهل جمع كاهل : وهو سند القوم .

[34] الخرادل : القطع العظيمة.

[35] الهندكي: منسوب إلى الهند.

فأصبح فينا أحمد فى أرومةٍ تُقَصِّر عنه سَوْرةُ المتطاول[36]
حَدِبْتُ بنفسى دونَه وحَميْتُه ودافعتُ عنه بالذُّرَا والكَلاكِل[37]
فأيده ربُّ العبادِ بنصرِه وأظهرَ ديناً حقُّه غيرُ باطلَ
رجال كرام غيرُ ميلٍ نَماهُمُ إلى الخيرِ آباءٍ كرامُ المحاصلِ[38]
فإن تكُ كعب من لُؤي صُقَيْبة فلا بُدّ يوماً مرةً من تَزايُلِ[39]

قال ابن هشام : هذا ما صح لي من هذه القصيدة، وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها.

الرسول عليه السلام يستسقي لأهل المدينة ويود لو أن أبا طالب حي يرى ذلك : قال ابن هشام : وحدثني من أثق به ، قال : أقحط أهلُ المدينة، فأتَوْا رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، فشكوا ذلك إليه ، فصعد رسولُ اللّه صلى الله عليه وسلم المنبر فاستسقى،[40] فما لبث أن جاء من المطر ما أتاه أهلُ الضواحي[41] يشكون منه الغرق ؛ فقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : " اللهم حوالينا ولا علينا "[42]، فانجاب السحاب عن المدينة فصار

---

36 السورة : الشدة والبطش.

37 حدبت : عطفت . والذرا: جمع ذروة أعلى ظهر البعير، والكلاكل : عظام الصدور.

38 الميل : جمع أميل وهو الذي لا يحسن الركوب .

39 صقيبة : قريبة.

40 حديث استسقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وهو حديث مروي من طرق كثيرة، وبألفاظ مختلفة - انظر للمحقق : مفاتيح القاري لأبواب فتح الباري بشرح صحيح البخاري .

41 الضواحي : جمع ضاحية، وهي الأرض البراز التي ليس فيها ما يكن من المطر، ولا منجاة من السيول ، وقيل : ضاحية كل بلد، خارجه .

42 وقوله عليه السلام : " اللهم حوالينا، ولا علينا " كقوله في حديث آخر اللهم منابت الشجر، وبطون الأودية، وظهور الآكام "، فلم يقل ، اللهم ارفعه عنا هو من حسن الأدب في الدعاء، لأنها رحمة الله، ونعمته المطلوبة منه ، فكيف يطلب منه رفع نعمته ، وكشف رحمته ، وإنما يسئل سبحانه كشف البلاء، والمزيد من النعماء، ففيه تعليم كيفية الاستسقاء.

حواليها كالإكليل ، فقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : " لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسره "، فقال له بعض أصحابه : كأنك يا رسول اللّه أردت قوله :

وأبيضُ يُسْتَسْقَى الغمامُ بوجهِه ثمالُ اليتامى عصمة للأراملِ

قال : " أجل " .

قال ابن هشام : وقوله " وشبرقة " عن غير ابن إسحاق .

ذكر الأسماء التي وردت في قصيدة أبي طالب : قال ابن إسحاق : والغياطل : من بنى سهم بن عمرو بنْ هَصيص ، وأبو سفيان ابن حرب بن أمية. ومُطْعِم بن عَدِيِّ بن نوفل بن عبد مناف . وزُهير ابن أبي أمية بن المغيرة بن عبداللّه بن عُمر بن مخزوم ، أمه عاتكة بنت عبد المطلب .

قال ابن إسحاق : وأسيد، وبِكْره : عَتَّاب بن أسيد بن أبي العيص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي . وعثمان بن عُبيد اللّه ، أخو طلحة بن عُبيد اللّه التيْمي . وقنفذ بن عُمَير بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مرة . وأبو الوليد عتبة بن ربيعة . وأبو الأخنس بن شريق الثقفى، حليف بنى زُهرة بن كلاب .

قال ابن هشام : وإنما سمي الأخنس . لأنه خنس بالقوم يوم بدر، وإنما اسمه أبىّ، وهو من بنى علاج ، وهو عِلاج بن أبى سلمة بن عَوْف بن عقبة . والأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف ابن زُهرة بن كلاب . وسُبيع بن خالد، أخو بَلْحَارث بن فهر. ونَوْفل ابن خُوَيْلد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قصي ، وهو ابن العدوية . وكان من شياطين قريش، وهو الذي قرن بين أبي بكر الصديق وطلحة بن عُبَيْد اللّه رضى اللّه عنهما فى حبل حين أسلما، فبذلك كانا يسميان

القرينين ؛ قتله علي بن أبـى طـالب عليـه السـلام يـوم بـدر. وأبـو عمـرو قُرْظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف .

" وقومٌ علينا أظنَّة ": بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة، فهؤلاء الذين عدَّد أبو طالب فى شعره من العرب .

انتشار ذكر الرسول خارج مكة : فلما انتشر أمرُ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فى العرب ، وبلغ البلدان ، ذُكر بالمدينة، ولم يكن حى من العـرب أعلم بأمر رسول اللّه صلى الله عليه وسلم حين ذُكر، وقبل أن يُذكر من هـذا الحى من الأوس والخزرج ، وذلك لما كانوا يسمعون من أحبـار اليهـود، وكـانوا لهم حلفاء، ومعهم فى بلادِهـم . فلمـا وقـع ذكـره بالمدينـة، وتحـدثوا بمـا بيـن قريش فيه من الاختلاف . قال أبو قيس بن الأسْلَت[43] ، أخو بنى واقف :

نسب ابن الأسلت : قال ابن هشام : نسب ابنُ إسحاق أبا قيس هـذا هاهنا إلى بني واقف ، ونسبه فـي حـديث الفيـل إلـى خَطْمـة، لأن العـرب قـد تنسب الرجل إلى أخي جده الذي هو أشهر منه .

---

[43] واسم الأسلت : عامر، والأسلت : هو الشديد الفطس يقال : سلت اللّه أنفه ، ومن السلت حديث بشر بن عاصم حين أراد عمر أن يسـتعمله ، فلمـا كتـب له عهده أبى أن يقبله ، وقال : لا حاجة لي به . إني سمعت رسول اللّه صـلى الله عليه وسلم يقول : إن الولاة يجاء بهم يوم القيامـة، فيقفـون علـى جسـر جهنم ، فمن كان مطاوعاً للّه تناوله بيمينه حتى ينجيه ، ومن كـان عاصـياً للّـه انحرف به الجسر إلى واد من نار تلتهب التهاباً، قال : فأرسل عمـر إلـى أبـى ذر وإلى سلمان ، فقال لأبي ذر: أنت سمعت هذا من رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قال : نعم والله، بعد الوادي واد آخر من نار. قال : وسـأل سلمان ، فكره أن يخبره بشيء ، فقال عمر: من يأخذها بما فيها؟ فقـال أبـو ذر: من سلت الله أنفه وعينيه ، وأضرع خده إلى الأرض. ذكره ابن أبي شيبة .

قال ابن هشام : حدثني أبو عُبَيدة : أن الحكم بن عمرو الغِفارى من ولد نُعَيْلة أخي غِفار وهو غِفار بن مُلَيْل ، ونُعَيلة بن مُلَيل بن ضَمْرة بن بكر بن عبد مناة، وقد قالوا عتبة بن غزوان السُّلَمى وهو من ولد مازن بن منصور وسُلَيْم بن منصور.

قال ابن هشام : فأبو قيس بن الأسلت : من بنى وائل ؛ ووائل ، وواقف ، وخَطْمة إخوة من الأوس .

شعر ابن الأسلت في الدفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : فقال أبو قيس بن الأسلت - وكان يحب قريشاً، وكان لهم صهراً، كانت عنده أرنب بنت أسد بن عبد العُزَّى بن قُصي، وكان يقيم عندهم السنين بامرأته - قصيدة يعظم فيها الحرمة، وينهى قريشا فيها عن الحرب ، ويأمرهم بالكف بعضهم عن بعض ، ويذكر فضلَهم وأحلامَهم ، ويأمرهم بالكفِّ عن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، ويذكّرهم بلاءَ اللّه عندهم ، ودفعه عنهم الفيل وكيده عنهم ، فقال :

يا راكباً إما عَرَضتَ فبلِّغــنْ مُغَلغلَةً عني لُؤيَّ بنَ غالبِ[44]
رسول امرئ قد راعه ذات بينكم على النأيِ محزونٍ بذلكِ ناصبِ[45]
وقد كان عندي للهموم معَرَّسٌ فلم أقضِ منها حاجتي ومآربى[46]
نُبِّيتُكم شَرْجَيْن كل قبيلَــةٍ لها أزْمَلٌ من بين مُذْكٍ وحاطبِ[47]

---

[44] المغلغلة: الداخلة إلى أقصى ما يراد بلوغه منها، ومنه تغلغل في البلاد: إذا بالغ في الدخول فيها، وأصله : تغلل ومغللة، ولكن قلبوا إحدى اللامين غيناً، كما فعلوا في كثير من المضاعف ، وأصله من الغلل والغلالة، فأما الغلل فماء يستره النبات والشجر،
وأما الغلالة فساترة لما تحتها. ويراد بالمغلغلة في البيت الرسالة .

[45] الناصب : المعيي .

[46] أصل المعرس : المكان الذي ينزل فيه المسافرون ليلا للاستراحة.

[47] شرجين . أي : فريقين مختلفين ، " ونبئتكم " لفظ مشكل وفي حاشية الشيخ : نبيتكم شرجين ، وهو بين في المعنى، وفيه زحاف خرم ، ولكن لا يعاب المعنى بذلك ، وأما لفظ النبيت في هذا البيت ، فبعيد من معناه ، والأزمل : الصوت ، والمذكى : الذي يوقد النار، والحاطب : الذي يحطب لها، ضرب هذا مثلا لنار الحرب ، كما قال الشاعر:
أرى خلل الرماد وميض جمر ويوشك أن يكون لها ضرام
فإن النار بالعودين تذكى وإن الحرب أولها الكلام

أعيذكم باللّه من شر صنعِكـم وشرِّ تباغيكم ودسِّ العقاربِ
وإظهارِ أخلاقٍ ونجْوَى سقيمةٍ كوخزِ الأشافى وقعُها حقَّ صائب[48]
فذكرْهمْ باللّهِ أولَ وهلــةٍ وإحلالَ أحرام الظباءِ الشوازبِ[49]
وقل لهم واللّه يحكمُ حُكْمَــهُ ذروا الحربَ تذهبْ عنكم فى المَراحبِ[50]
متى تبعثوها تبعثوها ذميمـةً هى الغُولُ للأقصينَ أو للأقاربِ[51]
تُقطِّعُ أرحاماً وتُهلك أمــةً وتبري السَّديفَ من سَنام وغاربِ[52]
وتستبدلوا بالأتحميةِ بعدَهـا شَليلاً وأصداءً ثيابَ المحاربِ[53]
وبالمسكِ والكافورِ عُبْراً سوابغا كأنٍ قَتِيرَيْها عيونُ الجنادبِ[54]
فإياكمُ والحربَ لا تَعْلَقَنَّكُمْ وحَوْضاً وخيم الماءِ مُرَّ المشاربِ

---

[48] الأشافي : المخارز .

[49] إحلال أحـرام الظبـاء الشـوازب : أي ، إن بلـدكم بلـد حـرام تـأمن فيـه الظبـاء الشوازب التي تأتيه من بعد، لتأمن فيه فهي شازبة أي ، ضامرة لبعـد المسـافة، وإذا لم تحلوا بالظباء فيه فأحرى ألا تحلوا بدمائكم ، وإحـرام الظبـاء، كونهـا فـي الحرم ، يقال لمن دخل في الشهر الحرام ، أو في البلد الحرام ، محرم .

[50] المراحب : الأماكن المتسعة .

[51] الغول : أي : هي الهلاك ، يقال : الغضب . غول الحلم؛ أي يهلكه ، والغول بفتح الغين : وجع البطن ، قاله البخاري في تفسير قوله ﴿لا فِيهَـا غَـوْلٌ﴾ [الصـافات: 47]انظر كتاب التفسير في فتح البارى من تحقيقنا جـ 18. راجع مفاتيح القارئ .

[52] تبري : تقطع . السديف : لحم السنام ، الغارب : أعلى الظهر.

[53] الأتحمية : ثياب رقاق تصنع بـاليمن . والشـليل : درع قصـيرة، والأصـداء: جمـع صدأ الحديد.

[54] القتير: حلق الدرع شبهها بعيون الجراد وأخذ هذا المعنى التنوخي فقال :
كأثواب الأراقم مزقتها فخاطتها بأعينها الجراد
وكقول عمرو بن معدي كرب في وصف الحرب :
الحرب أول ما تكون فتية تسعى ببذتها لكل جهول
حتى إذا اشتعلت وشب ضرامها ولت عجوزا غير ذات خليل
شمطاء جزت رأسها، فتنكرت مكروهة للشم والتقبيل .

تَزَيَّنَ للأقوامِ ثم بَرَوْنَها بعاقبةٍ إذ بَيَّنَتْ ، أمَّ صاحبِ[55]
تحرِّق لا تُشْوِي ضعيفاً وتنتحى ذوي العزِّ منكم بالحُتوف الصوائبِ[56]
ألم تعلموا ما كان في حربِ داحسٍ فتعتبروا أو كان فـى حـربِ حـاطبِ[57]
وكم قد أصابت من شريفٍ مُسَوَّدٍ طويلِ العمادِ ضيفُه غيرُ خائِبِ
عظيمِ رمادِ النارِ يُحمَدُ أمرُه وذي شيمةٍ محضٍ كريم المضاربِ[58]
وماء هُريق فى الضلالِ كأنما أذاعت به ريحُ الصَّبا والجنائبِ[59]
يُخبِّركم عنها امرؤ حقٌّ عالمٍ بأيامِها والعلمُ علمُ التجاربِ
فبيعوا الحرابَ مِلْمُحَارِبِ واذكروا حسابَكمُ واللّهُ خيرُ محاسبِ

---

55 أم صاحب ، أي عجوزا كأم صاحب لك ، إذا لا يصحب الرجل إلا رجل في سـنه ، وفي جامع البخاري . كانوا إذا وقعت الحرب يأمرون بحفظ هـذه الأبيـات ، يعنـي أبيات عمرو بن معدي كرب المتقدمة .

56 لا تشوى: لا تخطئ . وتنتحي : تقصد.

57 ألم تعلموا ما كان في حرب داحس : يذكر معنى داحس إذ ذكره ابن إسحاق بعد هذه القصيدة إن شاء اللّه تعالى.

58 كريم المضارب ، وفي حاشية كتاب الشيخ : لعله الضرائب ، يريد: جمع ضريبة، ولا يبعد أيضاً أن يكون قال : المضارب . يريد أن مضارب سيوفه غيـر مذمومـة، ولا راجعة عليه إلا بالثناء والحمد والوصف بالمكارم .

59 وماء هريق في الضلال : ويروى في الصلال جمع صلة، وهـي الأرض الـتي لا تمسك الماء، أي رب ماء هريق في الضلال من أجل السراب ، لأن من يريـق ماء من أجل السراب إلا ضال غيـر مميـز بمواضـع المـاء، وأذاعـت بـه ، أي : بددته ، فلم ينتفع به ، وهذا مثل ضربه للنظر في عواقب الأمور، ويروى : وما أهريق في أمر، ومعناه : والذي أهريق في أمر الضلال ، فوصـل ألـف القطـع ضرورة، ويقال : أريق الماء، وأهريق بالجمع بين الهمزة والهاء، وهي أقلها.

وليّ امرئٍ فاختار دينا فلا يَكنْ عليكم لي رقيباً غيرُ ربِّ الثـــواقبِ[60]
أقيموا لنا دِيناً حنيفاً فأنتم لنا غاية قد يُهتَدى بالذوائبِ[61]
وأنتم لهذا الناسِ نور وعصمةٌ تُؤَمُّون ، والأحلامُ غيرُ عوازبِ[62]
وأنتم ، إذا ما حُصِّل الناسُ ، جوهر لكم سُرَّةُ البطحاءِ شُمُّ الأرانبِ[63]
تصونون أجساداً كراماً عتيقةً مهذَّبةَ الأنسابِ غيرَ أشائبِ[64]
ترى طالبَ الحاجاتِ نحوَ بيوتِكم عصائبَ هَلْكَى تهتدي بعصائبِ
لقد علِم الأقوامُ أن سَراتَكم على كلِّ حالٍ خيرُ أهلِ الجباجِبِ[65]
وأفضلُه رأياً وأعلاه سُنة وأقولُه للحقِّ وسطَ المواكبِ
فقوموا فصلوا ربَّكم وتمسَّحوا بأركان هذا البيتِ بينَ الأخاشبِ[66]

فعندكمُ منه بلاءٌ ومصْدَق غداةَ أبى يَكْسومَ هادي الكتائبِ
كتيبتُه بالسهلِ تُمسى ورَجْلُه على القاذفاتِ في رءوسِ المناقب[67]
فلما أتاكم نصرُ ذي العرشِ ردَّهم جنـودُ المليـكِ بيـن سـافٍ وحاصـبِ[68]

---

[60] ولي امرئ فاختار دينا فإنما. أي : هو ولي امرئ اختار ديناً، والفاء زائدة على أصل أبي الحسن ، قال في قولهم : زيدا فاضرب : الفاء معلقة أي : زائدة، ومن لا يقول بهذا القول يجعل الفاء عاطفة على فعل مضمر، كأنه قال : ولي امرئ تدين ، فاختار ديناً، أو نحو هذا. والثواقب : النجوم . انظر الروض الأنف من تحقيقنا.

[61] الذوائب : الأعالى .

[62] الأحلام : العقول ، والعوازب : البعيدة .

[63] السرة : العلو، والشم المرتفعة .

[64] الأشائب : المختلطة، ويريد بغير الأشائب أن نسبهم خالص لا عيب فيه .

[65] الجباجب : وهي منازل منى . كذا قال ابن إسحاق ، وقال البرقي: هي حفر بمنى، يجمع فيها دم البدن ، والهدايا، والعرب تعظمها وتفخر بها، وقيل الجباجب : الكروش .
يقال للكرش : جبجبة بفتح الجيم ، والذي تقدم واحده : جبجبة بالضم.

[66] الأخاشب : جبال مكة.

[67] القاذفات : قمم الجبال ، والمناقب : الطرق التي فيها.

[68] بين ساف وحاصب : السافي : الذي يرمى بالتراب ، والحاصب الذي يقذف بالحصباء.

فَوَلَّوْا سِراعا هاربين ولم يَؤُبْ إلى أهلِه مِلْحُبْشِ غيرِ عصائب
فإن تَهْلِكوا تَهْلِكْ وتهلكْ مواسمٌ يُعاش بها قولُ امرئٍ غيرِ كاذبِ

قال ابن هشام : أنشدني بيته ، " وماء هريق "، وبيته : " فبيعوا الحــراب "، وقوله : " ولى امرئ فاختار "، وقوله :

* على القاذفات فى رءوس المناقب *

أبو زيد الأنصاري وغيره .

حرب داحس والغبراء: قال ابن هشام : وأما قوله :

* ألم تعلموا ما كان فى حرب داحس *

فحدثنى أبو عُبَيدة النحوي : أن داحساً فرس كان لقيس بن زُهَير ابن جَذيمة بن رَواحة بن ربيعة بن الحارث بن مازن بن قطيعـة بـن عِبْـس بن بغيض بن رَيْث بن غَطَفان أجراه مع فرس لحذيفة بن بدر بن عَمرو بن زيد بن جُؤَيَّة بن لُوذان بن ثعلبة بن عدي بن فَزارة بن ذُبيان بن بَغيض بن رَيْث بـن غَطَفان ، يقال لها: الغبراء. فدس حذيفة قوما وأمرهم أن يضربوا وجه داحس إن رأوه قد جاء سابقاً، فجاء داحس سـابقاً فضـربوا وجهـه ، وجـاءت الغـبراء. فلما جاء فارس داحس أخبر قيساً الخبر، فوثب أخـوه مالـك بـن زُهَيْـر فلطـم وجه الغبراء، فقام حَمَلُ بن بدر فلطم مالكاً. ثم إن أبا الجُنَيْدبِ العَبْسـى لقـى عوفَ بنَ حذيفة فقتله ، ثم لقى رجلٌ مـن بنـى فـزارة مالكـاً فقتلـه[69] ، فقـال حَمَل بن بدر أخو حذيفة بن بدر:

---

69 داحس بمعنى : مـدحوس ، كمـا قيـل : مـاء دافـق ، أي : مـدفوق ، والـدحس : إدخال اليد بقوة في ضيق ، كما روي أن رسول اللّه صـلى اللـه عليـه وسـلم مـر بغلام يسلخ شاة، فأمره أن يتنحى ليريه ، ثم دحس عليه السلام بيده بيـن الجلـد واللحم ، حتى بلغ الإبط ثم صلى ، ولم يتوضأ، فداحس : سمي بهـذا الاسـم ، لأن أمه كانت لرجل من بنى تميم ، ثم
من بني يربوع اسمه : قرواش بـن عـوف ؛ وكـان اسـم الفـرس : جلـوى، وكـان ذو العقال
فرساً عتيقاً لحوط بن جابر، فخرجت به فتاتان له ، لتسقياه ، فبصر بجلوى، فأدلى حين رآها، فضحك غلمة كانوا هناك ؛ فاستحيت الفتاتان ، ونكستا رأسيهما، فأفلت ذو العقال حتى نزا على جلوى، وقيل ذلك لحوط فأقبل مغضباً، وهو يسعى حتى ضرب بيده في التراب؛ ثم دحسها في رحم الفرس؛ فسطا عليها، فأخرج ماء الفحل منها: واشتملت الرحم على بقية الماء، وحملت بمهر فسموه : داحساً.
وأظهر ما فيه أن يكون مثل لابن وتامر، وأن لا يكون فاعلا بمعنى مفعول ، فهو داحس بن ذي العقال بن أعوج الذي تنسب إليه الخيل الأعوجية من قول بعضهم .
يقال : إن حرب داحس دامت أربعين سنة، لم تحمل فيها أنثى، لأنهم كانوا لا يقربون النساء ما داموا محاربين ، وذكر الأصبهاني أن حرب داحس كانت بعد يوم جبلة بأربعين سنة، وكان آخر أيام حرب داحس بقلهي من أرض قيس ، وهناك اصطلحت عبس ومنولة، وهي أم بني فزارة، شمخ وعدى ومازن ، فيقال لهذا الموضع : تلهى، وأما تلهى فبالحجاز، وفيه اعتزل سعد بـن أبـي وقـاص حيـن قتـل عثمـان ، وأمـر ألا يحدث بشيء من أخبار الناس ، وألا يسمع منها شيئاً، حتى يصطلحوا، ويقال ، إن الحنفاء كـانت فـرس حذيفـة، وأنهـا أجريـت مـع الغـبراء فـي ذلـك اليـوم - قـال الشاعر:
إذا كان غير اللّه للمرء عدة أتته الرزايا من وجوه الفوائد
فقد جرت الحنفاء حتف حذيفة وكان يراها عدة للشدائد

قتلنا بعوف مالكاً وهو ثأرُنا   فإن تطلبوا منا سوى الحقِّ تَنْـــدَموا
وهذا البيت فى أبيات له . وقال الربيع بن زياد العَبْسي :
أفبعدَ مقتل مالكِ بن زُهَير   ترجو النساءُ عواقبَ الأطهارِ
وهذا البيت في قصيدة له .
فوقعت الحربُ بين عَبْس .وفزارة، فقُتل حذيفةُ بن بدر وأخوه حَمَلُ ابن بدر، فقال قيس بن زُهير بن جَذِيمة يرثى حُذيفة، وجزع عليه :
كم فارس يُدْعَى وليس بفارسٍ   وعلى الهَباءةِ فارس ذو مَصْدق[70]

---

70 الهباءة: مكان في بلاد غطفان .

فابكوا حذيفةَ لن تُرَثّوا مثلَه حتى تبيدَ قبائلٌ لم تُخْلَق

وهذان البيتان في أبيات له . وقال قيس بن ز هير:

على أن الفتى حَمَلَ بنَ بدر بغى والظلمُ مرتعُه وخيمُ

وهذا البيت فى أبيات له . وقال الحارث بن زهير أخو قيس بن زهير:

تركتُ على الهباءةِ غيرَ فَخْر حُذيفةَ عندَه قِصَدُ العوالى[71]

وهذا البيت فى أبيات له .

قال ابن هشام : ويقال : أرسل قيس داحساً والغبراء، وأرسل حذيفة الخَطّار والحَنْفاء، والأول أصح الحديثين . وهو حديث طويل ، منعنى من استقصائه قطعه حديث سيرة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم .

حرب حاطب : قال ابن هشام : وأما قوله : " حرب حاطب ". فيعنى حاطب بن الحارث بن قيس بن هَيْشة بن الحارث بن أمية ابن معاوية بن مالك بن عَوْف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، كان قتل يهوديا جاراً للخزرج ، فخرج إليه يزيد بن الحارث ابن قيس بن مالك بن أحمر بن حارثة بن ثعلبة بن كَعْب بن الخزرج ابن الحارث بن الخزرج - وهو الذي يقال له : ابن فُسْحُم ، وفُسْحُم أمه ، وهي امرأة من القَيْن بن جَسْر - ليلا فى نفر من بنى الحارث ابن الخزرج فقتلوه ، فوقعت الحرب بين الأوس والخزرج فاقتتلوا قتالا شديداً، فكان الظَّفَر للخزرج على الأوس ، وقُتل يومئذ سُوَيد بن صامت ابن خالد بن عطية بن حَوْط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، قتله المُجذَّر بن زياد البلوي ، واسمه عبداللّه ، حليف بنى عَوْف بن الخزرج . فلما كان يوم أحد خرج المجَذَّر بن زياد

---

[71] القصد: القطع المتكسرة . والعوالي : الرماح .

مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ، وخرج معه الحارث بـن سـوَيْد بـن صامت ، فوجد الحارث بن سُوَيْد غِرَّة من المجذر فقتله بأبيه . وسأذكر حـديثه في موضعه - إن شاء اللّه تعالى. ثـم كـانت بينهـم حـروب منعنـى مـن ذكرهـا واستقصاء هذا الحديث ما ذكرت في حديث حرب داحس . **شعر حكيـم بـن أمية فى نهي قومه عن عداوة الرسول :**

قال ابن إسحاق : وقال حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوْقَص السُّـلَمي ، حليف بنى أمية وقد أسلم ، يُوَرِّع[72] قومَه عما أجمعوا عليه من عـداوة رسـول اللّه صلى الله عليه وسلم، وكان فيهم شريفا مطاعا:

هل قائلٌ قولاً من الحقِّ قاعــد عليه وهل غضبان للرشْدِ سامعُ
وهل سيّد ترجو العشيرةُ نفعَـه لأقصى الموالي والأقارب جامعُ
تبرأت إلا وجه من يملك الصَّبَا وأهجرُكم ما دام مُدْلٍ ونازع[73]
وأسْلم وجهي للإله ومنطقي ولو راعنى مِنَ الصَّديقِ روائع

ذكر ما لقي وسول اللّه صلى الله عليه وسلم من قومه

سفهاء قريش يـ أذونه : قـال ابـن إسـحاق : ثـم إن قريشـا اشـتد أمرُهم للشقاء الذي أصابهم فى عداوة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ومن أسلم معه منهـم ، فـأغْرَوْا برسـول اللّـه صـلى اللـه عليـه وسـلم سـفهاءَهم ؛ فكذَّبوه وآذَوْه ، ورموه بالشِّعر والسحر والكهانة والجنون ، ورسول اللّه صـلى الله عليه وسلم مظهر لأمر اللّه لا يستخفى بـه ، مبـادٍ لهـم بمـا يكرهـون مـن عَيْب دينهم ، واعتزال أوثانهم ، وفراقه إياهم على كفرهم .

---

[72] يورع : يصرف .
[73] المدل : المرسل للدلو في البئر، والنازع : الجاذب لها.

أشد ما أوذي به الرسول صلى الله عليه وسلم: قال ابن إسحاق : فحدثني يحيى بن عروة بن الزبير، عن أبيه عروة بن الزبير، عن عبداللّه بن عمرو بن العاص ، قال : قلت له : ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابوا من رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فيما كانوا يُظهرون من عداوته ؟ قال : حضرتُهم وقد اجتمع أشرافُهم يوماً فى الحِجْر، فذكروا رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ، فقالوا: ما رأينا مثلَ ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط ، سفَّه أحلامَنا، وشتم آباءَنا، وعاب دينَنا، وفرَّق جماعَتنا، وسبَّ آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمر عظيم ، أو كما قالوا. فبينَا هُم فى ذلك إذْ طلع رسولُ اللّه صلى الله عليه وسلم، فأقبل يمشى حتى استلم الركنَ ، ثم مَرَّ بهم طائفا بالبيت ، فلما مر بهم غمزوه ببعض القول . قال : فعرفت ذلك في وجه رسول اللّه صلى الله عليه وسلم . قال : ثم مضى، فلما مرَّ بهم الثانية غمزوه بمثلِها، فعرفتُ ذلك فى وجه رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ، ثم مرَّ الثالثة فغمزوه بمثلها، فوقف ثم قال : أتسمعون يا معشرَ قُريش، أما والذي نفسى بيده ، لقد جئتكم بالذَّبْح[74] . قال : فأخذت القومَ كلمتُه حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائرٌ واقع ، حتى إن أشدَّهم فيه وصاة قبل ذلك لَيرْفَؤُه[75] بأحسن ما يجد من القول ، حتى إنه ليقول : انصرفْ يا أبا القاسم ، فواللّه ما كنتَ جهولاً. قال : فانصرف رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، حتى إذا كان الغدُ اجتمعوا في الحِجْر وأنا معهم ، فقال بعضُهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم ، وما بلغكم عنه ، حتى إذا بادَاكم بما تكرهون تركتموه . فبينما هم فى ذلك طلع عليهم رسولُ اللّه صلى الله عليه وسلم ، فوثبوا إليه وثبةَ رجلٍ واحد، وأحاطوا به ، يقولون : أنت الذي تقول كذا وكذا؛ لما كان يقول من عَيْب آلهتهم ودينهم ، فيقول رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : نعم : أنا الذي

---

[74] يعرض صلى بهلاكهم .

[75] رفأه : هدأه .

أقول ذلك . قال : فلقد رأيتُ رجلا منهم أخذ بمجْمَع ردائه . قال : فقـام : أبو بكر رضى اللّه عنه دونه ، وهو يبكي ويقـول : أتقتلـون رجلا أن يقـول ربـىَ الله؟ ثم انصرفوا عنه ، فإن ذلك لأشدَّ ما رأيتُ قريشا نالوا منه قط .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعضُ آل أم كلثوم بنت أبي بكر، أنهـا قـالت : رجع أبو بكر يومئذ وقد صدعوا فَرْقَ رأسِـه ؛ ممـا جبـذوه بلحيتـه ، وكـان كـثير الشعر.

قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم : أشـدُّ مـا لقـى رسـول اللّـه صلى الله عليه وسلم من قريش أنه خرج يوما فلـم يلقـه أحـد مـن النـاس إلا كذَّبه وآذاه ، لا حُر ولا عبد، فرجع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم إلى منزلـه ، فتدثر من شدةِ ما أصابه ، فأنزل اللّه تعالى عليه : **{يا أيهـا المـدثِّر. قُـم فأنذرْ}** [المدثر: 1،2] [76] .

إسلام حمزة رضي اللّه عنه

سبب إسلامه : قال ابن إسحاق : حدثني رجل من أسلم ، كان واعيـةً : أن أبا جهل مر برسول اللّه صلى الله عليه وسلم عند الصفا، فآذاه وشتمه ، ونال منه بعض ما يكره من العَيْب لدينه ، والتضعيف لأمره ؛ فلم يكلمه رسولُ اللّه صلى الله عليه وسلم ، ومولاةٌ لعبداللّه بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن

---

[76] قال السهيلي في الروض الأنف : في تسميته إيـاه بالمـدثر: فـي هـذا المقـام ملاطفـة وتـأنيس ومـن عـادة العـرب إذا قصـدت الملاطفـة أن تسمى المخاطب باسم مشتق من الحالـة الـتي هـو فيهـا، كقـوله عليـه السلام لحذيفة : قم يا نَوْمان ، وقوله لعلى بن أبي طالب - وقد ترب جنبه : قم أبا تراب .

سعد بن تَيْم بن مرة في مسكن لها تسمع ذلك ، ثم انصرف عنه فعمد إلى نادٍ[77] من قريش عند الكعبة، فجلس معهم . فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب رضى اللّه عنه أن أقبل متوشحا قوسَه ، راجعاً من قَنَص يرميه ويخرج له ، وكان إذا رجع من قَنَصه لم يصل إلى أهله حتى يطوفَ بالكعبة، وكان إذا فعل ذلك لم يمر على نادٍ من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم ، وكان أعزَّ فتى فى قريش، وأشدَّ شكيمة . فلما مر بالمَوْلاةِ، وقد رجع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم إلى بيته ، قالت له : يا أبا عُمارة، ولو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آنفا من أبى الحكم بن هشام : وجده هاهنا جالساً فآذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد صلى الله عليه وسلم .

فاحتمل حمزة الغضب لما أراد اللّه به من كرامته ، فخرج يسعى ولم يقف على أحد، مُعِدًّا لأبي جهل إذا لقيه أن يوقع به ؛ فلما دخل المسجد نظر إليه جالساً فى القوم ، فأقبل نحوه ، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجه شجةً منكَرة، ثم قال : أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول ؟ فرُد ذلك على إنِ استطعت . فقامت رجال من بنى مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل ؛ فقال أبو جهل : دعوا أبا عُمارة، فإني واللّه قد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً، وتم حمزة رضى اللّه عنه على إسلامه ، وعلى ما تابع عليه رسولَ اللّه صلى الله عليه وسلم من قوله . فلما أسلم حمزة عرفت قريشٌ أن رسولَ اللّه صلى الله عليه وسلم قد عز وامتنع ، وأن حمزة سيمنعه ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه[78] .

---

77 أي أهل ناد.

78 أم حمزة: هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زُهرة، وأهيب : عم آمنة بنت وهب تزوجها عبد المطلب ، وتزوج ابنه عبد اللّه آمنة في ساعة واحدة، فولدت هالة لعبد المطلب حمزة وولدت منة لعبد الله رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ثم أرضعتهما ثُوَيْبَة . وزاد غير ابن اسحاق في إسلام حمزة أنه قال : لما احتملني الغضب ، وقلت أنا على قوله ، أدركني الندم على فراق دين آبائي وقومى، وبت من الشك في أمر عظيم لا اكتحل بنوم ، ثم أتيت الكعبة، وتضرعت إلى اللّه سبحانه أن يشرح صدري للحق ويذهب عني الريب فما استتممت دعائي حتى زاح عني الباطل ، وامتلأ قلبي يقينا - أو كما قال - فغدوت إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فأخبرته بما كان من أمري ، فدعا لي بأن يثبتنى اللّه ، وقال حمزة بن عبد المطلب حين أسلم :

حمدتُ اللّه حين هدى فؤادى إلى الإسلام والدين الحنيف
لدين جاء من رب عزيز خبير بالعباد بهم لطيف
إذا تليت رسائله علينا تحرر دمع ذي اللب الحصيف
رسائل جاء أحمد من هداها بآيات مبينة الحروف
وأحمد مصطفى فينا مطاع فلا تغشوه بالقول العنيف
فلا واللّه نسلمه لقوم ولما نقض فيهم بالسيوف
ونترك منهم قتلى بقاع عليها الطير كالورد العكوف
وقد خبرت ما صنعت ثقيف به فجزى القبائل من ثقيف
إله الناس حشر جزاء قوم ولا أسقاهم صَوْب الخريف

عتبة بن ربيعة يفاوض الرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القُرظي ، قال : حُدثتُ أن عُتبة بن ربيعة، وكان سيداً، قال يوما وهو جالس فى نادي قريش، ورسول اللّه صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد وحده : يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبلُ بعضَها فنعطيه أيها شاء، ويكف عنا؟ وذلك حين أسلم حمزةُ، ورأوْا أصحابَ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثُرون ؛ فقالوا: بلى يا أبا الوليد، قم إليه فكلمْه؛ فقام إليه عُتبة حتى جلس إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، فقال : يا ابن أخي ، إنك منا حيث قد علمتَ من السِّطَة[79] فيِ العشيرة، والمكان فى النسب ، وإنك أتيت قومَك بأمر عظيم فرَّقت

---

[79] السطة : الشرف .

به جماعتهم وسفهتَ به أحلامَهم وعِبتَ به آلهتهم ودينهم وكفَّرت بـه مـن مضى من آبائهم ، فاسمع منى أعرضْ عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبـل منهـا بعضها.

قال : فقال له رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : قُلْ يا أبا الوليد، أسـمع ، قال : يا بنَ أخي ، إن كنتَ إنما تريد بما جئتَ به من هذا الأمر مالا جمعنا لـك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا، حـتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به مُلكاً ملكناك علينا: وإن كـان هـذا الـذي يأتيك رَئِيًّا[80] تراه لا تسـتطيع ردّه عـن نفسِـك ، طلبنـا لـك الطـبَّ ، وبـذلنا فيـه أموالنا حتى نبرئَك منه ، فإنه ربما غلب التابِعُ على الرجل حـتى يُـدَاوَى منـه أو كما قال له ، حتى إذا فرغ عتبة، ورسول اللّه صلى الله عليه وسلم يستمع منه ، قال : أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال : نعم قال : فاسمع مني ؛ قال : أفعل .

فقال : **{** بِاسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ حم(1) تَنزِيلٌ مِنْ الرَّحْمَـانِ الرَّحِيـمِ(2) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًـا عَرَبِيًّـا لِقَـوْمٍ يَعْلَمُـونَ(3) بَشِـيرًا وَنَـذِيرًا فَـأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ(4) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْـهِ**}** [فصـلت: 1ـ5] ثم مضى رسول اللّـه صـلى اللـه عليـه وسـلم فيهـا يقرؤهـا عليـه فلمـا سمعها منه عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلفَ ظهره معتمداً عليهما يسمع منـه ؛ ثمِ انتهى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها، فسجد ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعتَ ، فأنت وذاك .

رأي عتبة : فقام عتبة إلى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : نحلف باللّه لقد جاءكم أبو الوليد بغيرِ الوجه الذي ذهب به . فلما جلس إليهم قالوا: مـا وراءَك يا أبا الوليد؟ قال : ورائى أنى قد سمعتُ قولا

---

[80] الرئي : ما يظهر للناس من الجن .

واللّه ما سمعت مثلَه قطُّ ، واللّه ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانــة، يا معشر قريش، أطيعونى واجعلوها بي ، وخلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزِلوه ، فواللّه ليكـونن لقـوله الـذي سـمعتُ منـه نبـأ عظيـم ، فـ إن تصـبْه العربُ فقد كُفيتموه بغيرِكم ، وإن يظهر علـى العـرب فملُكـه ملكُكـم ، وعـزُّه عزكم ، وكنتم أسْعَدَ الناس به ؛ قالوا: سحرك واللّه يا أبا الوليد بلسانه ؛ قال : هذا رأى فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم .

قريش تفتن المسلمين : قال ابن إسحاق : ثم إن الإِسلام جعـل يفشو بمكة فى قبائل قريش فى الرجال والنساء ؛ وقريش تحبس من قـدرت على حبسه ، وتفتن من استطاعت فتنته من المسلمين ثم إن أشراف قريـش من كل قبيلة، كما حدثني بعض أهل العلم عن سعيد ابـن جـبير، وعـن عكرمـة مولى ابن عباس ، عن عبداللّه بن عباس رضى اللّه عنهما قال :

زعماء قريش تفاوض الرسول صـلى اللـه عليـه وسـلم : اجتمـع عتبةُ بن ربيعة، وشَيْبة بن ربيعة، وأبو سُفيان بن حرب ، والنَّضْـر بـن الحـارث ، أخو بني عبد الدار، وأبو البَخْتَري بن هشـام ، والأسـود بـن المطّلـب بـن أسـد، وزَمَعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشـام وعبـداللّه بـن أبـى أمية، والعاص بن وائل ، ونُبَيْه ومُنبَّه ابنا الحجاج السهميان ، وأميـة بـن خلـف ، أو من اجتمع منهم . قال : اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهـر الكعبـة، ثـم قال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمـد فكلمـوه وخاصـموه حـتى تُعـذروا فيـه ، فبعثوا إليه : إنَّ أشرافَ قومِك قد اجتمعوا لك ليكلموك ، فأتهمْ.

فجاءهم رسول اللّه صلى الله عليه وسلم سريعا، وهو يظن أن قد بدا لهـم فيما كلمهم فيه بَداء، وكان عليهم حريصا يحب رشدَهم ، ويعز عليه عَنَتُهم ،

حتى جلس إليهم ؛ فقالوا له : يا محمد، إنا قد بعثنا إليك لنكلمك ، وإنا واللّـه ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه مثل مـا أدخلـت علـى قومـك ، لقـد شـتمت الابـاء، وعِبـت الـدين ، وشـتمت الآلهـة، وسـفهت الأحلامَ ، وفرقـت الجماعةَ، فما بقي أمر قبيح إلا جئته فيما بيننا وبينك – أو كمـا قـالوا لـه – فـإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لـك مـن أموالنـا حـتى تكـون أكثرنا مالا، وإن كنت إنما تطلب بـه الشـرف فينـا، فنحـن نسـودك علينـا، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا، وإن كَان هذا الذي يأتيك رَئِيًّا تراه قد غلـب عليـك – وكانوا يسمون التابع من الجن رَئِيا – فربما كان ذلك ، بـذلنا لـك أموالَنـا فـى طلب الطب لك حتى نبرئك منه ، أو نُعْذر فيك ؛ فقال لهـم رسـول اللّـه صـلى الله عليه وسلم: ما بي ما تقولون ، ما جئتُ بما جئتكم به أطلب أمـوالَكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملكَ عليكم ، ولكن اللّه بعثني إليكم رسـولا، وأنـزل علـيَّ كتاباً، وأمرنى أن أكون لكم بشيراً ونـذيراً، فبلغتكـم رسـالات ربـي ، ونصـحت لكم ، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به ، فهو حظّكم في الدنيا والآخرة، وإن تـردوه علي أصبرْ لأمر اللّه حتى يحكم اللّه بيني وبينكم ، أو كما قال صـلى اللـه عليـه وسلم .

قالوا: يا محمد، فإن كنت غير قابل منا شيئا ممـا عرضـناه عليـك فإنـك قـد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلداً، ولا أقـل مـاءً، ولا أشـد عيشـاً منـا، فسَلْ لنا ربَّك الذي بعثك بما بعثك به ، فليسيِّر عنا هذه الجبال التي قد ضـيَّقت علينا، وليبسط لنا بلادَنا، وليفجر لنا فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق ، وليبعـث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيمن يُبعث لنا منهم : قُصَىُّ بن كلاب ، فإن كان شيخ صِدْق ، فنسألهم عما تقول : أحقّ هو أم باطل ، فإن صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك ، وعرفنا به منزلتك من اللّه ، وأنه بعثك رسولا كما تقول .

فقال له صلوات اللّه وسلامه عليه : ما بهذا بُعثتُ إليكم من اللّه ، إنما جئتكم من اللّه بما بعثني به ، وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم ، فإن تقبلوه فهو حظّكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليَّ أصبرْ لأمر اللّه تعالى، حتى يحكم اللّهُ بيني وبينكم .

قالوا: فإذا لم تفعل هذا لنا، فخذ لنفسك ، سل ربَّك بأن يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول ، ويراجعنا عنك وسَلْه فليجعل لك جِناناً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغى، فإنك تقوم بالأسواق كما نقوم ، وتلتمس المعاش كما نلتمسه ، حتى نعرف فضلَك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم .

فقال لهمرسول اللّه صلى الله عليه وسلم : ما أنا بفاعل ، وما أنا بالذي يسأل ربَّه هذا، وما بُعثت إليكم بهذا، ولكن اللّه بعثني بشيراً ونذيراً - أو كما قال - فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظّكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبرْ لأمر اللّه حتي يحكمَ اللّه بينى وبينكم . قالوا: فأسقط السماءَ علينا كِسفاً كما زعمت أن ربَّك إن شاء فعل ، فإنا لا نؤمن لك إلا أن تفعل .

قال : فقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : ذلك إلى اللّه ، إن شاء أن يفعلَه بكم فعل . قالوا: يا محمد، أفما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ، ونطلب منك ما نطلب ، فيتقدم فيعلمك ما تراجعنا به ، ويخبرك ما هو صانع فى ذلك بنا، إذ لم نقبل منك ما جئتنا به ! إنه قد بلغنا أنك إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له : الرحمن ، وإنا واللّه لا نؤمن بالرحمن أبداً، فقد أعذرنا إليك يا محمد، وإنا و اللّه لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكَك ، أو تهلكنا. وقال قائلهم :

نحن نعبد الملائكة، وهى بنات اللّه . وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا باللّه والملائكة قبيلا[81].

[81] وذكر ما سأله قومه من الآيات وإزالة الجبال عنهم ، وإنزال الملائكة عليه ، وغير ذلك ، جهلا منهم بحكمة اللّه تعالى في امتحان الخلق ، وتعبدهم بتصديق الرسل ، وأن يكون إيمانهم عن نظر وفكر في الأدلة، فيقع الثواب على حسب ذلك ، ولو كشف الغطاء، وحصل لهم العلم الضروري ، بطلت الحكمة التي من أجلها يكون الثواب والعقاب ، إذ لا يؤجر الإنسان على ما ليس من كسبه ، كما لا يؤجر على ما خلق فيه من لون وشعر ونحو ذلك ، وإنما أعطاهم من الدليل ما يقتض النظر فيه العلم الكسبي ، وذلك لا يحصل إلا بفعل من أفعال القلب ، وهو النظر في الدليل ، وفي وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول ، وإلا فقد كان قادرا سبحانه أن يأمرهم ، بكلام يسمعونه ، ويغنيهم عن إرسال الرسل إليهم ، ولكنه سبحانه قسم الأمر بين الدارين ، فجعل الأمر يعلم في الدنيا بنظر واستدلال وتفكر واعتبار، لأنها دار تعبد واختبار، وجعل الأمر يُعلم في الآخرة بمعاينة واضطرار، لا يستحق به ثواب ولا جزاء، وإنما يكون الجزاء فيها على ما سبق في الدار الأولى، حكمة دبرها، وقضية أحكمها، وقد قال الله تعالى : { وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ} [الإسراء: 59] يريد - فيما قال أهل التأويل - إن التكذيب بالآيات نحو ما سألوه من إزالة الجبال عنهم وإنزال الملائكة يوجب في حكم اللّه ، ألا يُلبث الكافرين بها، وأن يعاجلهم بالنقمة، كما فعل بقوم صالح وبآل فرعون ، فلو أعطيت قريش ما سألوه من الآيات ، وجاءهم بما اقترحوا ثم كذبوا لم يلبثوا، ولكن اللّه أكرم محمداً في الأمة التي أرسله إليهم ، إذ قد سبق في علمه أن يكذب به من يكذب ، ويصدق به من يصدق ، وابتعثه رحمة للعالمين بر وفاجر، أما البر فرحمته إياهم في الدنيا والآخرة، وأما الفاجر، فإنهم أمنوا من الخسف والغرق وإرسال حاصب عليهم من السماء. كذلك قال بعض أهل التفسير في قوله : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: 107] مع أنهم لم يسألوا ما سألوا من الآيات إلا تعنتاً واستهزاء، لا على جهة الاسترشاد، ودفع الشك ، فقد كانوا رأوا من دلائل النبوة ما فيه شفاء لمن أنصف ، قال اللّه سبحانه : { أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ}.[العنكبوت: 51] وهم أهل الفصاحة والبلاغة. وقد ذكر ابن إسحاق في غير هذه الرواية أنهم سألوا أن يجعل لهم الصفا ذهبا، فهمَّ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم أن يدعوَ اللّه لهم ، فنزل جبريل ، فقال لهم : ما شئتَم فعلت ما سألتم ، ثم لا نلبثكم إن كذبتم بعد معاينة الآية، فقالوا: لا حاجة لنا بها. عن الروض الأنف للإمام السهيلي من تحقيقنا - بتصرف .

فلما قالوا ذلك لرسول اللّه صلى الله عليه وسلم، قـام عنهـم ، وقـام معـه عبداللّه بن أبي أمية بن المغيرة بن عبداللّه بـن عُمـر بـن مخـزوم - وهـو ابـن عمته ، فهو لعاتكة بنت عبد المطلب - فقال له : يا محمد، عرض عليك قومُـك ما عرضوا فلم تقبلْه منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك مـن اللّه كما تقول ، ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعلْ ، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك مـا يعرفون به فضلك عليهم ، ومنزلتك من اللّه ، فلم تفعل ، ثم سألوك أن تعجـلَ لهم بعضَ ما تخوِّفهم به من العذاب ، فلم تفعـل - أو كمـا قـال لـه - فـواللّه لا أومن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سُلّما، ثم ترقَى فيه وأنا أنظـر إليـك حـتى تأتيهَا، ثم تأتى معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول ، وايم اللّه ، لو فعلت ذلك ما ظننت أني أصدقك ، ثم انصرف عـن رسـول اللّـه صـلى اللـه عليه وسلم وانصرف رسولُ اللّه صلى الله عليه وسلم إلى أهله حزينـاً آسـفاً لما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دعوه ، ولما رأى من مباعدتهم إياه[82] .

أبو جهل يتوعد الرسول صلى الله عليه وسـلم : فلمـا قـام عنهـم رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قال أبو جهل : يا معشر قريـش ، إن محمـداً قد أبى إلا ما تَرَوْنَ من عَيْب ديننا، وشتم آبائنا، وتسفيه أحلامِنـا، وشـتم آلهتنـا، وإنى أعاهد اللّه لأجلسن له غدا بحجر ما أطيق حملَه - أو كما قال - فإذا سجد في صلاته فضَخْتُ به رأسَه ، فأسْلِموني عنـد ذلـك أو امنعـوني ، فليصـنع بعـد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم . قالوا: واللّه لا نسلمك لشىء أبـداً، فـامضِ لمـا تريد.

فلما أصبح أبو جهل ، أخَذَ حجرا كما وصف ، ثم جلس لرسول

---

[82] وقد أسلم عبدالله بن أبى أمية قبل فتح مكة، وسيأتي ذكر إسلامه .

الله صلى الله عليه وسلم ينتظره ، وغدا رسولُ اللّه صلى الله عليه وسلم كما كان يغدو. وكان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بمكة وقبلته إلى الشام ، فكان إذا صلى صلى بين الركن اليمانى والحجر الأسود وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، فقام رسولُ اللّه صلى الله عليه وسلم يصلّى وقد غدت قريشٌ فجلسوا فى أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل ، فلما سجد رسول اللّه صلى الله عليه وسلم احتمل أبو جهل الحجرَ، ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع منهزماً منتقعاً لونُه مرعوباً قد يَبِست يداه على حجره، حتى قذف الحجرَ من يده ، وقامت إليه رجال قريش، فقالوا له : ما لك يا أبا الحكم ؟ قال : قمت إليه لأفعل به ما قلتُ لكم البارحةَ، فلما دنوتُ منه عَرض لي دونَه فحلٌ من الإبل ، لا واللّه ما رأيت مثل هامتِه ، ولا مثل قَصَرَته[83] ولا أنيابه لفحلٍ قطُّ ، فَهَمَّ بى أن يأكلنى.

قال ابن إسحاق : فذُكر لي أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ، قال : ذلك جبريلُ عليه السلام لو دنا لأخذه .

النضر بن الحارث ينصح قريشاً: فلما قال لهم ذلك أبو جهل[84] ، قام النَّضر بن الحارث بن كَلَدَة بن علقمة بن عبد صد بن عبد الدار بن قُصي .

قال ابن هشام : ويقال النضر بن الحارث بن علقمة بن كَلَدَة ابن عبد مناف .

قال ابن إسحاق : فقال يا معشر قريش ، إنه واللّه قد نزل بكم

---

[83] قصرته : أصل عنقه .

[84] ذكر النسوي بإسناده إلى ابن عباس أن أبا جهل قال له : ألم أنهك ؟ فواللّه ما بمكة نادٍ أعز م ن نادىَّ، فأنزل اللّه تعالى: { أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى(9)عَبْدًا} [العلق: 9،10]إلى قوله : { فَلْيَدْعُ نَادِيَه(17) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ}.[العلق:17،18]

أمرُ ما أتيتم له بحيلة بعدُ، قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم ، وأصدقكم حديثا، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم فى صُدْغَيْه الشيبَ ، وجاءكم بما جاءكم به ، قلتم ساحر، لا واللّه ما هو بساحر، لقد رأينا السحرةَ ونفثهم وعقدهم ، وقلتم كاهن ، لا واللّه ما هو بكاهن ، قد رأينا الكهنة وتخالُجهم وسمعنا سَجْعهم ، وقلتم شاعر، لا واللّه ما هو بشاعر، قَد رأينا الشعر، وسمعنا أصنافَه كلّها: هَزَجه ورجزه ، وقلتم مجنون ، لا واللّه ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون فما هو بخَنْقه ، ولا وسوسته ، ولا تخليطه ، يا معشر قريش، فانظروا في شأنكم ، فإنه واللّه لقد نزل بكم أمر عظيم .

أذى النضر للرسول صلى الله عليه وسلم : وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش ، وممن كان يؤذي رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، وينصب له العداوةَ، وكان قد قدم الحيرة، وتعلم بها أحاديثَ ملوك الفرس ، وأحاديث رُسْتم واسبنديار، فكان إذا جلس رسولُ اللّه صلى الله عليه وسلم مجلساً فذكّر فيه باللّه ، وحذَّر قومَه ما أصاب مَنْ قبلَهم من الأمم من نِقْمة اللّه ، خلفه في مجلسه إذا قام ، ثم قال : أنا واللّه يا معشر قريش، أحسن حديثاً منه ، فهلمّ إلىَّ، فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورُستم واسبنديار، ثم يقول : بماذا محمد أحسن حديثاً منى؟.

قال ابن هشام : وهو الذي قال فيما بلغنى : " سأنزل مثل ما أنزل اللّه ".

قال ابن إسحاق : وكان ابن عباس رضي اللّه عنهما يقول ، فيما بلغني : نزل فيه ثمان آيات من القرآن : قول اللّه عز وجل :

{ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**}** [القلم: 15] (ا). وكل ما ذكر فيه من الأساطير من القرآن[85] .

---

[85] واحد الأساطير: أسطورة كأحدوثة وأحاديث ، وهو ما سطره الأولون ، وقيل : أساطير: جمع أسطار، وأسطار جمع : سطر بفتح الطاء، وأما سطر بسكون الطاء، فجمعه : أسطر، وجمع الجمع : أساطر بغير ياء، وذكر أن النضر بن الحارث كان يحدث قريشا بأحاديث رستم وأسفنديار، وما تعلم في بلاد الفرس من أخبارهم ، وذكر ما أنزل الله في ذلك من قوله ، وقد قيل فيه نزلت : **{** وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ**}**.[الأنعام: 93]

قريش تسأل أحبار اليهود في شأنه عليه الصلاة والسلام :

فلما قال لهم ذلك النضرُ بن الحارث بعثوه ، وبعثوا معه عقبة بن أبى مُعَيْط إلى أحبار يهود بالمدينة، وقالوا لهما: سَلاهم عن محمد، وصِفا لهم صفته ، وأخبراهم بقوله ، فإنهم أهلُ الكتاب الأول ، وعندهم علمُ ليس عندَنا من علم الأنبياء، فخرجا حتى قَدِما المدينة، فسألا أحبار يهود عن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ، ووصفا لهم أمرَه ، وأخبراهم ببعض قوله ، وقالا لهم : إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا.

فقالت لهما أحبار يهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهنَّ : فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل متقول ، فرَوْا فيه رأيكم . سَلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول ما كان أمرُهم ؟ فإنه قد كان لهم حديث عجب ، وسَلوه عن رجل طوَّاف قد بلغ مشارقَ الأرض ومغاربها ما كان نبؤُه ، وسلوه عن الرّوحِ ما هى؟ فإذا أخبركم بذلك فاتبعوه ، فإنه نبى، وإن لم يفعل ، فهو رجل متقول ، فاصنعوا فى أمره ما بدا لكم .

فأقبل النضرُ بنُ الحارث ، وعقبة بن أبي مُعَيْط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصى حتى قدما مكة على قريش، فقالا: يا معشر قريش ، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أخبرنا أحبارُ يهود أن نسألَه عن أشياء أمرونا بها، فإن أخبركم عنها فهو نبي ، وإن لم يفعلْ فالرجلُ متقوِّلٌ ، فَرَوْا فيه رأيكم .

قريش تسأل والرسول يجيب : فجاءوا رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا محمد، أخبرنا عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول قد كانت لهم قصة عجب ، وعن رجل كان طوَّافاً قد بلغ مشارقَ الأرض ومغاربَها، وأخبرْنا عن الروح ما هى؟ قال : فقال لهم رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: أخبركم بما سألتم عنه غداً، ولم يستثن[86] ، فانصرفوا عنه .

فمكث رسول اللّه صلى الله عليه وسلم - فيما يذكرون - خمسَ عشَرةَ ليلة لا يُحْدث اللّه إليه فى ذلك وحياً، ولا يأتيه جبريل ، حتى أوجف أهلُ مكة، وقالوا: وعدنا محمد غداً، واليوم خمسَ عشَرةَ ليلةً، قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشىء مما سألناه عنه ، وحتى أحزن رسولَ اللّه صلى الله عليه وسلم مكثُ الوحي عنه ، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة . ثم جاءه جبريل من اللّه عز وجل بسورة أصحاب الكهف ، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم ، وخبرُ ما سألوه عنه من أمر الفتية، والرجلُ الطواف ، والروح .

الرد على قريش فيما سألوه : قال ابن إسحاق : فذكر لي أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل حين جاءه : لقد احتبست عني يا جبريل حتى سُؤْتُ ظنا؛ فقال له جبريل **{** وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا**}**.[مريم:64] فافتتح السورة تبارك وتعالى بحمده وذكر نبوة رسوله ، بما أنكروه عليه من ذلك ، فقال : **{** الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ**}**[الكهف: 1] يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ، إنك رسول منى : أى تحقيق لما سألوه عنه من

---

[86] فقال لهم : سأخبركم غدا، ولم يقل : إن شاء الله ، فأبطأ عنه الوحي في قول ابن إسحاق خمسة عشر يوماً، وفي سيرة التيمي وموسى بن عقبة أن الوحي إنما أبطأ عنه ثلاثة أيام ، ثم جاء جبريل بسورة الكهف .

نبوتك . {وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا* قيماً}[الكهف: 1]: أي معتـدلا، لا اختلاف فيه ، { لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِـنْ لَـدُنْهُ} [الكهـف: 2]ـ : أي عاجـل عقـوبته فـي الدنيا، وعذابا أليما في الآخرة : أي من عند ربك الذي بعـث رسـولا. { وَيُبَشِّـرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَـنًا(2) مَـاكِثِينَ فِيـهِ أَبَـدًا} [الكهف: 2،3] أي دار الخلد. لا يموتون فيها الذين صدقوك بمـا جئت بـه ممـا كذبك به غيرهم ، وعملوا بما أمرتهم بـه مِـن الأعمـال ، { وَيُنـذِرَ الَّـذِينَ قَـالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا} [الكهف: 4] يعني قريشاً في قولهم : إنا نعبـد الملائكـة وهـى بناتُ اللّه { مَا لَهُـمْ بِـهِ مِـنْ عِلْـمٍ وَلَا لِآبَـائِهِمْ} [الكهـف: 5]ـ الـذين أعظمـوا فراقهم وعيب دينهم . { كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْـوَاهِهِمْ } : أي لقـولهم : إن الملائكة بنات الله { إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا(5) فَلَعَلَّكَ بَـاخِعٌ نَفْسَـكَ} يـا محمـد{ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا} [الكهف: 6]

: أي لحزنه عليهم حين فاته ما كان يرجو منهم ، أي لا تفعل[87] .

قال ابن هشام : باخع نفسك : أي مهلك نفسك فيما حدثني أبو عبيـدة . قال ذو الرِّمَّة :

---

[87] وذكر افتتاح الرب سبحانه بحمد نفسه ، وذكر نبوة نبيه حمده لنفسه تعالى خبر باطنه الأمر والتعليم لعبده كيف يحمده ، إذ لولا ذلك لاقتضت الحال الوقوف عن تسـميته ، والعبـارات عـن جلالـه ، لقصـور كـل عبـارة عمـا هنـاك مـن الجلال ، وأوصاف الكمال ، ولما كان الحمد واجباً على العبد قُدم فـي هـذه الآيـة ليقـترن في اللفظ بالحمد الذي هو واجب عليه ، وليستشعر العبـد وجـوب الحمـد عليـه ، وفي سورة الفرقان قال : { تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَـى عَبْـدِهِ} [الفرقـان: 1] وبدأ بذكر الفرقان الذي هـو الكتـاب المبـارك . قـال اللـه سـبحانه : { وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ} [الأنعام: 92] فلما افتتح السـورة بـ{ تَبَـارَكَ الَّـذِي} بـدأ بذكر الفرقان ، وهو الكتاب المبارك ، ثم قال : {عَلَى عَبْدِهِ} فانظر إلى تقـديم ذكر عبده على الكتاب ، وتقديم ذكر الكتاب عليه في سورة الفرقـان ، ومـا فـي ذلـك مـن تشـاكل اللفـظ والتئـام الكلام تـرَ الإعجـاز ظـاهراً، والحكمـة بـاهرة، والبرهان واضحاً .

ألا أيهذا الباخع الوَجْدُ نفسَه لشيءٍ نَحَتْهُ عن يَدَيْه المقَادِرُ

وجمعه : باخعون وبَخَعة. وهذا البيت فى قصيدة له . وتقول العرب :قد بخعْتُ له نصحى ونفسي : أي جهدت له . **{ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}**.[الكهف: 7]

قالَ ابن إسحاق : أي أيهم أتبعُ لأمري ، وأعملُ بطاعتى .

{ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا}:[الكهف: 8] أي الأرض ، وإن ما عليها لفانٍ وزائل ، وإن المرجع إلىَّ، فأجزي كلا بعمله ، فلا تأسَ ولا يحزنْك ما تسمع وترى فيها.

قال ابن هشام : الصعيد: الأرض ، وجمعه : صُعُد. قال ذو الرِّمة يصف ظبياً صغيراً:

كأنه بالضحَى ترمى الصعيدَ به دبَّابةٌ فى عِظام الرأسِ خُرطومُ[88]

وهذا البيت فى قصيدة له . والصعيد: الطريق . وقد جاء فى الحديث :" إياكم والقعودَ على الصَّعَداتِ "، يريد الطرقَ . والجُرُز: الأرض التي لا تنبت شيئاً، وجمعها: أجْراز. ويقال ؛ سَنة جُرز، وسنون أجْراز، وهى التي لا يكون فيها مطر، وتكون فيها جدوبة ويُبس وشدة . قال ذو الرمة يصف إبلاً:

طوى النحْزُ والأجْراز ما فى بُطونها فما بقيتْ إلا الضلوعُ الجَراشِعُ[89]

---

[88] الدبابة والخرطوم : من أسماء الخمر، أي كأنه من نشاطه دبت الخمر في رأسه ، يصف ولد الظبية.

[89] النحز النخس ، والنحاز داء يأخذ الإبل والنحيزة: العزيزة، والنحيزة : نسيجة كالحزام والضلوع الجراشع . وهو جمع جرشع . قال صاحب العين الجرشع : العظيم الصدر، فمعناه إذا في البيت على هذا: الضلوع من الهزال قد نتأت، وبرزت كالصدر البارز.

وهذا البيت فى قصيدة له .

أهل الكهف : قال ابن إسحاق : ثم استقبل قصةَ الخبر فيما سألوه عنه من شأن الفتية، فقال **{** أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا**}**:[الكهف: 9] أي قد كان من آياتى فيما وضعت على العباد من حُججي ما هو أعجب من ذلك .

قال ابن هشام : والرقيم[90] 0 الكتاب الذي رُقِمَ فيه بخبرِهم ، وجمعُه : رُقُم . قال العَجَّاج :

ومُسْتَقر المصحفِ المرَقَّم

وهذا البيت فى أرجوزة له .

قال ابن إسحاق : ثم قال تعالى : **{** إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا(10) فَضَرَبْنَا **}** [الكهف: 10،11][91]

---

[90] معنى الرقيم : روي عن أنس أنه قال : الرقيم : الكلب ، وعن كعب أنه قال : هو اسم القرية التي خرجوا منها، وقيل : هو اسم الوادي وقيل : هو صخرة، ويقال : لوح كتب فيه أسماؤهم ودينهم وقصتهم ، وقال ابن عباس : كل القرآن أعْلمُ إلا الرقيم والغسلين وحناناً والأوَّاه ، وقد ذُكرت أسماؤهم على الاختلاف في بعض ألفاظها وهي : مليخا، كسليما، مرطوش ، ابن أنس ، أريطانس، أيونس ، شاطيطوش . وقيل في اسم مدينتهم : أفوس ، واختلف في بقائهم إلى الآن ، فروي عن ابن عباس أنه أنكر أن يكون بقي شئ منهم ، بل صاروا ترابا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم، وقال بعض أصحاب الأخبار غير هذا، وأن الأرض لم تأكلهم ، ولم تغيرهم مثل أجساد الشهداء، وأنهم على مقربة من القسطنينية، فالله أعلم . وروي أنهم سيحجون البيت إذا نزل عيسى ابن مريم . ألفيت هذا الخبر في كتاب البدء لابن أبي خيثمة . عن الروض الأنف للإمام السهيلي

- انظره من تحقيقنا. وانظر أيضاً الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبى.

[91] فضربنا على آذانهم : أي أنمناهم ، وإنما قيل في النائم : ضرب على أذنه؛ لأن النائم ينتبه من جهة السمع ، والضرب هنا مستعار من ضرب القفل على الباب.

عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا(11) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا}.[الكهف: 11،12] ثم قال تعالى: { نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ}: أي بصدق الخبر عنهم { إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى(13) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا}:[الكهف: 13،14] أي لم يشركوا بى كما أشركتم بي ما ليس لكم به علم .

قال ابن هشام : والشطط : الغُلو ومجاوزة الحق . قال أعْشَى بنى قَيْس بن ثَعْلبة :

لا يَنْتهون ولا يَنْهَى ذَوِي شَطَطٍ كالطَّعْنِ يذهبُ فيه الزيتُ والفُتُلُ

وهذا البيت في قصيدة له .

{ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ}

قال ابن إسحاق : أي بحجة بالغة.

{ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا(15) وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا(16) وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَتَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ[92] ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ}.[الكهف: 15ـ17]

---

[92] تقرضهم : تحاذيهم وقيل : تتجاوزهم شيئاً شيئاً، من القرض ، وهو القطع ، أي : تقطع ما هنالك من الأرض . وهذا كل شرح اللفظ ، وأما فائدة المعنى، فإنه بين أنهم في مقنوة من الأرض ، لا تدخل عليهم الشمس، فتحرقهم ، وتبلى ثيابهم ، ويقلبون ذات اليمين وذات الشمال. لئلا تأكلهم الأرض ، والفائدة العظمى في هذه الصفة بيان كيفية حالهم في الكهف ، وحال كلبهم ، وأين هو من الكهف ، وأنه بالوصيد منه ، وأن باب الكهف إلى جهة الشمال للحكمة التي تقدمت ، وان هذا البيان لا يكاد يعرفه من رآهم ، فإن المطّلع يُملأ منهم رعباً، فلا يمكنه تأمل هذه الدقائق من حالهم ، والنبي عليه السلام لم يرهم قط ، ولا سمع بهم ، ولا قرأ كتاباً فيه صفتهم؛ لأنه أمى في أمة أمية، وقد جاءكم ببيان لا يأتي به من وصل إليهم حتى إن كلبهم قد ذكر، وذكر موضعه وبسطه ذراعيه بالوصيد، وهم في الفجوة، وفي هذا كله برهان عظيم على نبوته ، ودليل واضح على صدقه ، وأنه غير متقول ، كما زعموا، فقف بقلبك على مضمون هذه الأوصاف ، والمراد بها تعصم إن شاء الله مما وقعت فيه الملحدة من الاستخفاف بهذه الآية من كتاب الله ، وقولهم : أي فائدة في أن تكون الشمس تزّاور عن كهفهم ، وهكذا هو كل بيت يكون في مقنوة، أي : بابه لجهة الشمال ، فنبه أهل المعاني على الفائدة الأولى المنبئة عن لطف الله بهم ، حيث جعلهم في مقنوة تزاور عنهم الشمس فلا تؤذيهم ، فيقال : لمن اقتصر من أهل التأويل على هذا: فما في ذكر الكلب وبسط ذراعيه من الفائدة، وما فيه من معنى اللطف بهم ؟ فالجواب : ما قدمناه من أن الله سبحانه لم يترك من بيان حالهم شيئاً، حتى ذكر حال كلبهم مع أن تأملهم متعذر على من اطلع عليهم من أجل الرعب ، فكيف من لم يرهم ، ولا سمع بهم ، لولا الوحي الذي جاءه من الله سبحانه بالبيان الواضح الشافي والبرهان الكافي ، والرعب الذي كان يلحق المطلع عليهم قيل : كان مما طالت شعورهم وأظفارهم . ومن الآيات في هذه القصة قوله سبحانه :{ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ} [الكهف: 17]أي : في فضاء، ومع أنهم في فضاء منه ، فلا تصيبهم الشمس . قال ابن سلام : فهذه آية . قال : وكانوا يقلبون في السنة مرتين ، ومن فوائد الآية : أنه أخرج الكلب عن التقليب ، فقال : باسط ذراعيه : ومع أنه كان لا يقلب لم تأكله الأرض : لأن التقليب كان من فعل الملائكة بهم ، والملائكة أولياء المؤمنين في الحياة الدنيا وفي الآخرة، والكلب خارج من هذه الآية، ألا تراه كيف قال بالوصيد، أي : بفناء الغار لا داخلا معهم؛ لأن الملائكة لا تدخل بيتاً

قال ابن هشام : تَزَاور: تميلُ ، وهو من الزور. وقال امرؤ القيـس ابـن جُحْر.

وإنى زعيم إن رجعتُ مُملكاً بسَيْر ترى منه الفُرانِق أزْوَرَا

فيه كلب فهذه فوائد جمة قد اشتمل عليهـا هـذا الكلام. قـال ابـن سـلام : وإنمـا كانوا يقلبون في الرقدة الأولى قبل أن يبعثوا.

وهذا البيت فى قصيدة له . وقال أبو الزحف الكلبى يصف بلداً:

جَابُ المُندَّى عن هَوانا أزورُيُنْضِى المطايا خِمْسُه العَشَنْزرُ[93]

وهذان البيتان[94] في أرجوزة له .و{ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ }[الكهف: 17] : تجاوزهم وتتركهم عن شمالها. قال ذو الرِّمة :

إلى ظُعْنٍ يَقْرِضن أقْواز مُشرِف شمالاً وعن أيمانِهن الفوارسُ[95]

وهذا البيت في قصيدة له . والفجوة: السِّعة، وجمعها: الفِجاء. قال الشاعر :

ألبسْتَ قومَك مَخْزاةً ومَنْقَصةً حتى أبيحوا وخَلَّوْا فجوةَ الدار

{ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ } [الكهف: 17] أ ي في الحجة على من عرف ذلك من أمورهم من أهل الكتاب ممن أمر هؤلاء بمسألتك عنهم في صدق نبوتك بتحقيق الخبر عنهم : { مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا(17) وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ} [الكهف: 17، 18]

قال ابن هشام : الوصيد: الباب . قال العَبْسى، واسمه عُبَيْد بن وهب :

بأرضٍ فَلاة لا يُسَدّ وَصيدُها علىَّ ومعروفي بها غَيرُ مُنْكَرِ

وهذا البيت فى أبيات له . والوصيد (أيضاً) الفناء، وجمعه : وصائد، ووُصُد، ووصْدان وأصُد، وأصْدَان .

{ لوْ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا} [الكهف:18]

---

93 الجأب : الغليظ ، وينضى: يهزل ، والعشنزر: المتين الخلق.

94 اعتبر الشطرتين بيتين من مشطور الرجز.

95 الأقواز: ما استدار من الرمل .

إلى قوله : {قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ}[الكهف21] أهل السلطان والملك منهم : {لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (21)[96] سيقولون} [الكهف:21،22] يعني أحبار يهود الذين أمروهم بالمسألة عنهم : { ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ} [الكهف: 22]: أي لا علم لهم . { وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ[97] قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا }: أي لا تكابرهم ،{وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا} [الكهف: 22] فإنهم لا علم لهم بهم .

{ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ[98] إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا(23) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا}[الكهف: 23،24]: أي ولا تقولن لشيء سألوك عنه كما قلت في هذا: إني مخبركم غداً. واستثن مشيئة الله ، واذكر ربك إذا نسيت ، وقل عسى أن يهدين ربي لخير مما سألتمونى عنه رشداً، فإنك لا تدري ما أنا صانع في ذلك . { وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا} [الكهف: 25][99] : أي

---

[96] استدل أهل العلم على أنهم كانوا مسلمين بقوله : {لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا [الكهف: 21].

[97] { وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ}: حرف الواو يدل على تصديق القائلين لأنها عاطفة على كلام مضمر، تقديره : نعم ، وثامنهم كلب ، وذلك أن قائلا لو قال : إن زيدا شاعر، فقلت له : وفقيه كنت قد صدقته ، كأنك قلت : نعم هو كذلك ، وفقيه أيضا.

[98] { وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ }: وفسره : فقال : أي استثن مشيئة الله.

[99] { وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ } فقال : معناه أي سيقولون ذلك ، وهو أحد التأويلات فيها. وقالوا: لبثوا، بزيادة قالوا. ثم قال ابن إسحاق : قل : ربي أعلم بما لبثوا، وهم من المؤلف أو غيره ، وإنما التلاوة : { قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا} [الكهف: 26] وقد قيل : إنه إخبار من الله تعالى عن مقدار لبثهم ، ولكن لما علم استبعاد قريش وغيرهم من الكفار لهذا المقدار،وعلم أن فيه تنازعا بين الناس ، فمن ثم قال : { قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا} [الكهف: 26] وقوله : { ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا} [الكهف: 25] أي : إنها ثلاثمائة بحساب العجم ، وإن حسبت الأهلة، فقد زاد العدد تسعا، لأن ثلاثمائة سنة بحساب الشمس تزيد تسع سنين بحساب القمر. انظر الموضوع مفصلا في الروض الأنف بتحقيقنا.

سيقولون ذلك . { قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا} [الكهف: 26] أي لم يخف عليه شىء مما سألوك عنه.

ذو القرنين : وقال فيما سألوه عنه من أمر الرجل الطوَّاف :

{ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا(83) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا} [الكهف: 83،84][100] حتى انتهى إلى آخر قصة خبره .

خبر ذي القرنين : وكان من خبر ذي القرنين أنه أوتي ما لم يؤتَ أحدٌ غيره ، فمُدت له الأسباب حتى انتهى من البلاد إلى مشارق الأرض ومغاربها، لا يطأ أرضاً إلا سُلط على أهلِها، حتى انتهى من المشرقِ والمغربِ إلى ما ليس وراءَه شئ من الخلق .

قال ابن إسحاق : فحدثنى من يسوق الأحاديثَ عن الأعاجم فيما

---

[100] { وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا} [الكهف:84] أي : علماً يتبعه ، وفي قوله تعالى : { فَأَتْبَعَ سَبَبًا} [الكهف: 85] أي : طريقاً موصلة
وقال ابن هشام في غير هذا الكتاب السبب : حبل من نور، كان ملك يمشي به بين يديه ، فيتبعه ، وقد قيل في اسم ذلك الملك : زاياقيل ، وهذا يقرب من قول من قال : { سَبَبًا} أي : طريقاً، ويقرب أن يكون تفسيراً لقول النبي صلى الله عليه وسلم : مسح الأرض بالأسباب ، واختلف في تسميته بذي القرنين ، كما اختلف في اسمه ، واسم أبيه ، فأصح ما جاء في ذلك ما روي عن أبى الطفيل عامر بن واثلة قال : سأل ابن الكواء علي بن أبى طالب ، فقال : أرأيت ذا القرنين ، أنبياً كان أم ملكا؟ فقال :لا نبيا كان ، ولا ملكا، ولكن كان عبداً صالحاً دعا قومه إلى عبادة الله، فضربوه
على قرنى رأسه ضربتين ، وفيكم مثله . يعنى: نفسه ، وقيل : كانت له ضفيرتان من شعر والعرب تسمى الخصلة من الشعر: قرنا، وقيل إنه رأى في المنام رؤيا طويلة أنه أخذ بقرني الشمس ، فكان التأويل أنه المشرق والمغرب ، وذكر هذا الخبر على
ابن أبي طالب القيرواني العابد في كتاب البستان له .

توارثوا من علمه : أن ذا القرنين كان رجلاً من أهلِ مصر. اسمُه مُرْزُبـان بن مَرْذبة اليونانى، من ولد يونان بن يافث بن نوح .

قال ابن هشام : واسمه الِإسكندر، وهو الذي بنى الِإسكندرية فنسـبت إليه .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني ثَوْر بن يزيد عن خالد بن مَعْدان الكَلاعيِّ ، وكان رجلا قـد أدرك : أن رسـول اللّـه صـلى اللـه عليـه وسـلم سُـئل عـن ذي القرنين فقال : مَلِك مسح الأرضَ من تحتِها بالأسبابِ .

وقال خالد: سمع عمرُ بن الخطاب رضى اللّه عنه رجلاً يقول :

يا ذا القرنين ، فقال عمر: اللهم غُفْراً، أما رَضَـيْتم أن تَسَـمَّوْا بالأنبيـاء حـتى تسميتم بالملائكةِ[101].

قال ابن إسحاق : اللّه أعلم أي ذلك كان ، أقال ذلـك رسـول اللّـه صـلى الله عليه وسلم، أم لا؟ فإن كان قاله ، فالحق ما قال .

أمر الروح : وقال تعالى فيما سألوه عنه مـن الـروح : **{** وَيَسْـأَلُونَكَ عَـنْ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**}** [الإسراء: 85]

ما أوتيتم من العلم إلا قليلا: قال ابن إسـحاق : وحُـدثت عـن ابـن عباس ، أنه قال : لما قدم رسول اللّه صلى اللـه عليـه وسـلم المدينـة، قـالت أحبارُ يهود: يا محمدُ، أرأيت قولك :**{** وَمَـا أُوتِيتُـمْ مِـنْ الْعِلْـمِ إِلَّا قَلِيلًا**}** إيانـا تريد، أم قومَك ؟ قال : كُلًّا؟ قالوا: فإنك تتلو فيما جاءك : أنا

---

[101] إن كان عمر قاله بتوقيف من الرسول عليه السلام ، فهو ملك ، لا يقول رسول اللّه صلى الله عليه وسلم إلا الحق؛ وإن كان قاله بتأويل تـأوله فقـد خـالف عليـا في الخبر المتقدم ، واللّه أعلم أي الخبرين أصح نقلا؛ غيـر أن الروايـة المتقدمـة عن على يقويها ما نقله أهل الأخبار عن ذي القرنين . واللّه أعلم .

قد أوتينا التوراةَ فيها بيانُ كل شىء . فقال رسول اللّـه صـلى اللـه عليـه وسلم: إنها في علم اللّه قليل ، وعندكم في ذلك ما يكفيكم لو أقمتموه. قال : فأنزل اللّه تعالى عليه فيما سألوه عنه من ذلك { وَلَـوْ أَنَّ مَـا فِـي الْأَرْضِ مِـنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِـدَتْ كَلِمَـاتُ اللَّـهِ إِنَّ اللَّـهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[الكهف: 27] : أي أن التوراة فى هذا من علم اللّه قليل .

تسيير الجبال وبعْث الموتى : قال وأنزل اللّه تعـالى عليـه فيمـا سـأله قومُه لأنفسِهم من تسيير الجبال ، وتقطيع الأرض ،وبعث من مضى من آبائهم من الموتى: { وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَـتْ بِـهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّـمَ بِـهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا}[الرعد: 31]: أي لا أصنع من ذلك إلا ما شئت.

خذ لنفسك : وأنزل عليه في قولهم : خـذ لنفسـك ، مـا سـألوه أن يأخـذ لنفسه ، أن يجعل له جنانا وقصوراً وكنوزاً، ويبعث معه ملكا يصدقه بما يقول ، ويرد عنه : { وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْـوَاقِ لَـوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا(7) أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا(8) انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَـكَ الْأَمْثَـالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا(9) تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِـنْ ذَلِـكَ { [الفرقان: 7ـ9]: أي من أن تمشي فـى الأسـواق وتلتمـس المعـاش {جَنَّـاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا} [الفرقان: 10]

لو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلي لفعلت : وأنزل عليه فى ذلك من قولهم { وَما أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْـبِرُونَ وَكَـانَ رَبُّـكَ بَصِـيرًا}.[الفرقـان: 20] أي جعلت بعضكم لبعـض بلاء لتصـبروا، ولـو شـئتُ أن أجعـل الـدنيا مـع رسلي فلا يُخَالفوا لفعلتُ .

القرآن يرد على ابن أبي أمية : وأنزل اللّه عليـه فيمـا قـال عبـدُاللّه ابن أبـي أميـة : { وَقَـالُوا لَـنْ نُـؤْمِنَ لَـكَ حَتَّـى تَفْجُـرَ لَنَـا مِـنْ الْأَرْضِ يَنْبُوعًـا(90)تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا(92) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَـنْ نُـؤْمِنَ لِرُقِيِّـكَ حَتَّـى تُنَـزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُه قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَـرًا رَسُـولًا} [الإسـراء: 90ــ 93]

قال ابن هشام : الينبوع : ما نبع من الماء من الأرض وغيرهـا، وجمعـه ينابيع . قال ابن هَرْمة واسمه إبراهيم بن على الفِهري :

وإذا هَرقتَ بكل دارٍ عَبْرةً نُزِفَ الشئونُ ودَمْعُك اليَنْبوعُ[102]

وهذا البيت فى قصيدة له . والكِسَف : القِطَع من العذاب ، وواحدته : كِسْفة، مثل سِدْرة وسِـدَر. وهـى أيضـاً : واحـدة الكِسْـف . والقبيـل : يكـون مقابلـة ومعاينة، وهو كقوله تعالى :{ أَوْ يَأْتِيَهُمْ الْعَذَابُ قُبُلًا}[الكهف: 55]: أي عيانـا. وأنشدنى أبو عُبَيْدة لأعشى بنى قَيْس بن ثَعْلبة :

أصالحكم حتى تَبوءُوا بمثلِهَا كصرخةِ حُبْلَى يسَّرتها قبيلُها

---

[102] ابن هرمة: نسبه فقال : فهري ، وإنما هـو خلجـي ، والخلـج اسـمه : قيـس بـن الحارث ابن فهر، واختلف في تسمية بني قيس بن الحارث الخلج ، فقيل : لأنهـم اختلجوا من قريش وسكان مكة، وقيل : لأنهم نزلوا بموضع فيـه خلـج مـن مـاء، ونسبوا إليه ،وابن هرمة واسمه : إبراهيم بـن علـى بـن هرمـة، وهـو شـاعر مـن شعراء الدولة العباسية . والشئون : مجارى الدمع ، وهي أطبـاق الـرأس ، وهـي أربعة للرجل ، وثلاثة للمرأة،كذلك ذكروا عن أهل التشريح ، وكـذلك ذكـر قاسـم بن ثابت في الدلائل ، واللّه أعلم .

يعنى القابلة، لأنها تقابلها وتَقبل ولدها. وهذا البيت في قصيدة له . ويقال : القبيل جمعه قُبُل ، وهى الجماعات ، وفى كتاب اللّـه تعـالى: { وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا} [الأنعام: 111] فقُبل : جمع قبيل مثل سُبل : جمع سبيل ، وسُرر: جمع سرير، وقُمص : جمع قميص ، والقبيـل أيضـا: فـى مَثَل من الأمثال ، وهو قولهم : ما يَعرف قبيلاً من دبير: أي لا يعـرف مـا أقبـل مما أدبر، قال الكُميْت بن زيد:

تفرقَت الأمورُ بوَجْهَتَيْهم فما عَرَفوا الدبيرَ من القبيلِ

وهذا البيت في قصيدة له ، ويقال : إنما أريد بهذا القبيل : القَتل ، فما قُتل إلى الذراع فهو القبيل ، وما قُتل إلى أطراف الأصابع فهو الدبير، وهو من الإقبال والإدبار الذي ذكرت . ويقال : فَتْل المِعْزَل . فإذا قُتل المِغْـزل إلي الركبة فهو القبيل ، وإذا قُتل إلى الوَرِك فهو الـدَّبير. والقبيـل أيضـاً: قـوم الرجل . والزُّخرف : الذهب . والمزخْرَف : المزيَّن بالذهب . قال العجاج :

مِن طللٍ أمسى تخال المصْحَفا رسومه والمذهَب المزخْرَفا

وهذان البيتان[103] فى أرجوزة له ، ويقال أيضاً لكل مُزَيَّن : مُزَخْرَف .

نفي القران أن رجلا من اليمامة يعلمه : قال ابن إسحاق :

وأنزل فى قولهم : إنا قد بلغنا أنك إنما يعلمك رجلٌ باليمامة، يقال له الرحمنُ ، ولن نؤمن به أبداً: { كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّـةٍ قَـدْ خَلَـتْ مِـنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمْ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَانِ قُلْ هُـوَ رَبِّـي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ}[الرعد: 30][104] .

---

[103] اعتبر الشطرتين بيتين من مجزوء الرجز.

[104] وذكر قول قريش: إنما يعلمه رجل باليمامة يقال لـه : الرحمـن ، وإنـا لا نـؤمن بالرحمن ، فأنزل اللّه سبحانه : { وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَـانِ قُـلْ هُـوَ رَبِّـي } كـان مسيلمة بن حبيب الحنفي، ثم أحد بنى الدؤل قد تسمى : بالرحمن في الجاهلية، وكان من المعمرين ،وذكر وثيمة بن موسى أن مسيلمة تسمى بالرحمن قبل أن يولد عبد اللّه أو رسول اللّه صلى الله عليه وسلم .

ما نزل في أبي جهل : وأنزل عليه فيما قال أبو جهل بن هشـام ،ومـا هم به **{أَرَأَيْتَ الَّـذِي يَنْهَـى(9) عَبْـدًا إِذَا صَـلَّى(10) أَرَأَيْـتَ إِنْ كَـانَ عَلَى الْهُدَى(11) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى(12) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَـوَلَّى(13) أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى(14) كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَـهِ لَنَسْـفَعَ بِالنَّاصِـيَةِ(15) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ(16) فَلْيَدْعُ نَادِيَه(17) سَـنَدْعُ الزَّبَانِيَـةَ(18) كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ }** **[العلق:9ـ19]**

قال ابن هشام : لنسفعاً: لنجذبن ولنأخذن . قال الشاعر:

قومٌ إذا سَمِعوا الصراخَ رأيتَهم من بين مُلْجِمِ مُهْرِه أو سافِع

والنادي : المجلس الذي يجتمع فيه القوم ويقضون فيه أمورَهم ،

وفى كتاب اللّه تعالى : **{** وَتَأْتُونَ فِـي نَـادِيكُمُ الْمُنكَـرَ**}** [العنكبـوت: 29] وهو النديُّ .

قال عَبيد بن الأبرص :

أذهبْ إليك فإنى من بني أسَدٍ أهل النديِّ وأهل الجودِ والنادي

وفى كتاب اللّه تعالى : **{** وَأَحْسَنُ نَدِيًّا**}** [مريم: 73] وجمعه : أندية . فليدع أهل ناديه . كما قال تعـالى: **{** وَاسْـأَلْ الْقَرْيَـةَ**}** [يوسـف: 82][105] يريـد أهل القرية .

قال سلامة بن جَنْدَل ، أحد بني سعد بن زيد مناة بن تميم :

يومان يومُ مقاماتٍ وأنديةٍ ويومُ سَيْر إلى الأعداءِ تأويبِ[106]

وهذا البيت في قصيدة له . وقال الكُمَيْت بن زيد:

لا مهاذيرَ في النديّ مكاثيـ ر ولا مُصْمتين بالإفحامِ

وهذا البيت فى قصيدة له . ويقال النادي : الجلساء. الزبانية: الغلاظ

---

[105] فيها مجاز مرسل علاقته المحلية .

[106] التأويب : السير كل النهار.

الشداد، وهم في هذا الموضع خزنة النار. والزبانية أيضاً في الدنيا أعـوان الرجل الذين يخدمونه ويعينونه ، والواحد: زِبْنِيَة . قال ابن الزِبَعْرَى فى ذلك :

مطاعيمُ فى المَقْرَى مطاعينُ فى الوَغَى زبانية غُلْتٍ عظامٌ حلومُها

يقول : شداد. وهذا البيت فى أبيات له . وقال صخر بن عبداللّه الهـذلى، وهـو صخر الغى :

ومن كبير نفرٌ زبانيهْ[107]

وهذا البيت فى أبيات له .

قال ابن إسحاق : وأنزل اللّه تعالى عليه فيما عرضوا عليه من أموالهم : **{** قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُـلِّ شَـيْءٍ شَهِيدٌ **}**.[سبأ: 47]

استكبار قريش عن الإيمان بالرسول صـلى اللـه عليـه وسـلم :

فلما جاء رسولُ اللّه صلى الله عليـه وسـلم بم ا عرفـوا مـن الحـق ، وعرفـوا صدقَه فيما حدَّث ، وموقع نبوتِه فيما جاءهم به من علـم الغيـوب حيـن سـألوه عما سألوه عنه ، حال الحسدُ منهم له بينَهم وبين اتِّباعه وتصديقه : فعَتَوْا على اللّه وتركوا

---

[107] وجدت في حاشية كتاب الشيخ علـى هـذا الـبيت : كـبير: حـي مـن هُـذَيل قـال المؤلف : وفي أسد أيضا: كـبير بـن غنـم بـن دودان بـن أسـد، ومـن ذريتـه : بنـو جحش بن ريان ابن يعمر بن صبوة بن مرة بن كبير، ولعـل الراجـز أن يكـون أراد هؤلاء، فإنهم أشهر،واللّه أعلم ، وبنو كبير أيضا: بطـن م ن بنـي غامـد، وه م م ن الأزد، والذي ذكره من هذيل هو: كبير بن طابخة بن لحيان بـن سـعد بـن هـذيل - وانظر الروض الأنف من تحقيقنا.

أمرَه عياناً، ولجُّوا فيما هم عليه من الكفر، فقال قائلهم :{ لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ} [فصلت: 26] أي اجعلوه لغوا وباطلا، واتخذوه هزوا لعلكم تغلبونه بذلك. فإنكم إن ناظرتموه أو خاصمتموه يوماً غلبكم .

فقال أبو جهل يوماً يهزأ برسول اللّه صلى الله عليه وسلم وما جاء من الحق : يا معشر قريش يزعم محمدٌ أنما جنود اللّه الذين يعذبونكم في النار يحبسونكم فيها تسعةَ عشرَ، وأنتم أكثر الناس عدداً، وكثرة، أفيعجز كلُّ مائة رجل منكم عن رجل منهم ؟ فأنزل اللّه تعالى عليه في ذلك من قوله :{ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا}[المدثر: 31] إلى آخر القصة، فلما قال ذلك بعضهم لبعض ، جعلوا إذا جهر رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بالقرآن وهو يصلى، يتفرقون عنه ، ويأبون أن يستمعوا له ، فكان الرجلُ منهم إذا أراد أن يستمع من رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بعضَ ما يتلُو من القرآن وهو يصلي ، استرق السمعَ دونَهم فَرَقاً منهم ، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع منه ذهب خشيةَ أذاهم فلم يستمعْ ، وإن خفض رسول اللّه صلى الله عليه وسلم اللّه عليه وآله وسلم صوتَه فظن الذي يستمع أنهم لا يستمعون شيئاً من قراءته وسمع هو شيئاً دونهم أصاخ له يستمعُ منه .

قال ابن إسحاق : حدثني داود بن الحُصَيْن ، مولى عُمر بن عثمان ، أن عِكْرِمة مولى ابن عباس حدثهم أن عبداللّه بن عباس رضي اللّه عنهما حدثهم : إنما أنزلت هذه الآية :{ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا} [الإسراء: 110] من أجل أولئك النفر يقول : لا تجهر بصلاتك فيتفرقوا عنك ، ولا تخافتْ بها فلا يسمعها من يحب أن يسمعَها ممن يسترق ذلك دونَهم لعله يرعوي إلى بعض ما يسمع فينتفع به .

أول من جهر بالقرآن

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بنُ عروة بن الزبيـر، عـن أبيـه ، قـال : كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بمكة عبـداللّه ابن مسعود رضي اللّه عنه قال : اجتمع يوماً أصحابُ رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم ، فقالوا: واللّه ما سمعتْ قريش هذا القـران يجهـر لهـا بـه قـطّ ، فمنَ رجل يُسْمِعهموه ؟ فقال عبدالله بن مسعود أنا، قالوا: إنا نخشاهم عليـك ، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه مـن القـوم إن أرادوه ؟ قـال دعـونى فـإن اللّه سيمنَعُنى . قال : فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام فى الضحى، وقريـش في أنديتها، حتى قام عنـدَ المقـام ثـم قـرأ:{ بِاِسْـمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـانِ الرَّحِيـمِ } رافعاً بها صوته {الرَّحْمَانُ *عَلَّمَ الْقُرْآنَ} [الرحمن: 1،2] قال : ثم اسـتقبلها يقرؤها. قال : فتأملوه فجعلوا يقولون : ما ذا قال ابنُ أمِّ عَبْد؟ قال : ثم قالوا: إنه ليتلُو بعضَ ما جاء به محمد، فقاموا إليه فجعلوا يضربون فى وجْهِه ، وجعـل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء اللّه أن يبلغَ . ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثَّروا فـى وجهه ، فقالوا له : هذا الذي خَشينا عليك ؛ فقـال : مـا كـان أعـداءُ اللّـه أهـونَ علـىَّ منهـم الآن ، ولئـن شـئتم لأغـادينهم بمثلهـا غـداً؛ قـالوا لا، حَسْـبُك ، قـد أسمعتَهم ما يكرهون .

قصة استماع قريش إلى قراءة النبى صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدثني محمدُ بنُ مسلم بن شهابٍ الزهريُّ أنه حُدِّث : أن أبا سُفْيان بن حرب ، وأبا جهل بن هشام ، والأخنس بن شَرِيق بـن عَمـرو بن وهب الثَّقفي ، حليف بنى زُهْرة خرجوا ليلةً ليستمعوا من رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ، وهو يصلي من الليل في

بيته ، فأخذ كلُّ رجل منهم مجلساً يستمع فيه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجرُ تفرقوا فجمعهم الطريقُ ، فتلاوموا، وقال بعضُهم لبعض : لا تعودوا، فلو رآكم بعضُ سفهائكم لأوقعتم فى نفسه شيئاً، ثم انصرفوا. حتى إذا كانت الليلةُ الثانية، عاد كلّ رجل منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجرُ تفرقوا، فجمعهم الطريقُ ، فقال بعضُهم لبعض مثلَ ما قالوا أول مرة، ثم انصرفوا. حتى إذا كانت الليلةُ الثالثةُ أخذ كلّ رجل منهم مجلسَه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجرُ تفرقوا، فجمعهم الطريق . فقال بعضهم لبعض : لا نبرح حتى نتعاهدَ ألا نعود على ذلك ثم تفرقوا.

الأخنس يستفهم عما سمعه : فلما أصبح الأخنسُ بن شَرِيق أخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان فى بيته ، فقال : أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال : يا أبا ثعلبة واللّه لقد سمعتُ أشياءَ أعرفها وأعرف ما يُراد بها، وسمعت أشياءَ ما عرفت معناها ولا ما يُراد بها، قال الأخنسُ : وأنا والذي حلفتَ به .

قال : ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل ، فدخل عليه بيتَه ، فقال : يا أبا الحكم ، ما رأيك فيما سَمِعْتَ من محمد؟ فقال : ماذا سمعت ، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحازينا على الرُّكب[108] ، وكنا كفرسَىْ رهان ، قالوا: منا نبيٌّ يأتيه الوحىُ من السماء؛ فمتى ندرك مثلَ هذه ، واللّه لا نؤمنُ به أبداً ولا نصدقه قال : فقام عنه الأخنسُ وتركه .

---

[108] فلما تحازينا على الركب : وقع في الجمهرة : " الجاذي ": المقعي على قدميه قال : وربما جعلوا الجاذي والجاثي سواء.

تعنت قريش عند سماعهم القرآن وما نزل فيهم : قال ابن إسحاق : وكان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم إذا تلا عليهم القرآن ، ودعاهم إلى اللّه : قالوا يهزءون به : **{** قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ**}** [فصلت: 5] لا نفقه ما تقول **{**وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ **}**لا نسمع ما تقول **{**وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ **}** قد حال بيننا وبينك **{** فَاعْمَلْ**}** بما أنت عليه **{** إِنَّنَا عَامِلُونَ**}** [فصلت: 5] بما نحن عليه ، إنا لا نفقه عنك شيئاً، فأنزل اللّه تعالى عليه في ذلك من قولهم : **{** وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا **}**[الإسراء: 45][109] . .. إلى قوله :**{** وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا**}**[الإسراء: 46] : أي كيف فهموا توحيدَك ربَّك إن كنتَ جعلتَ على قلوبهم أكنة هو في آذانهم وقراً، وبينك وبينهم حجابا بزعمهم ؛ أي إنى لم أفعل ذلك .**{** نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا**}** [الإسراء: 47] : أي ذلك ما تواصوا به من ترك ما بعثك به إليهم . **{** انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا**}**:[الإسراء: 48] أي أخطئوا المثل الذي ضربوا لك ، فلا يصيبون به هُدًى، ولا يعتدل لهم فيه قول **{** وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا**}**[الإسراء: 49]: أي قد جئتَ تخبرنا أنا سنُبعث بعد موتنا إذا كنا عظاما ورفاتا، وذلك ما لا يكون . **{** قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا(50)أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ**}**[الإسراء: 50،51]: أي الذي خلقكم مما تعرفون ، فليس خلقكم من تراب بأعزَّ من ذلك عليه .

---

[109] قول اللّه سبحانه خبراً عنهم : **{** جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا**}**[الإسراء: 45]: قال بعضهم : " مستور " بمعنى: ساتر كما قال :**{** كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا**}** [مريم: 61]أي : آتياً، والصحيح أن مستوراً هنا على بابه ، لأنه حجاب على القلب ، فهو لا يرى.

قال ابن إسحاق : حدثني عبداللّه بن أبي نَجيح ، عن مُجاهد، عن ابن عباس رضي اللّه عنهما، قال : سألته عن قول اللّه تعالى : { أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ } [الإسراء: 51] ما الذي أراد به اللّه ؟ فقال : الموت[110] .

ذكر عدوان المشركين على المستضعفين ممن أسلم بالأذى والفتنة

قال ابن إسحاق : ثم إنهم عَدَوْا على من أسلم ، واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه ، فوثبت كلُّ قبيلة على من فيها من المسلمين ، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش، وبرَمْضاء مكة إذا اشتد الحرُّ، من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم ، فمنهم من يُفتَن من شدةِ البلاء الذي يصيبه ، ومنهم م ن يَصْلُب لهم ، ويعصمه اللّه منهم .

ما لقيه بلال وتخليص أبي بكر له : وكان بلال ، مولى أبي بكر رضى اللّه عنهما، لبعض بنى جُمَح ،مُوَلَّداً من مُوَلَّديهم ، وهو بلال بن رباح ، وكان اسم أمه حمامة، وكان صادقَ الإسلام طاهرَ القلب ، وكان أميةُ بن وهب ب ن حُذَافة بن جُمَح يُخرجه إذا حَميت

---

[110] أراد ابن عباس أن الموت سيفنى كما يفنى كل شيء كما جاء أنه يُذبح على الصراط ، فكان المعنى أن لو كنتم حجارة أو حديدا لأدرككم الفناء والموت ، ولو كنتم الموت الذي هو كبير في صدوركم ، فلا بد لكم من الفناء - واللّه أعلم - بتأويل ذلك .

الظهيرةُ، في بَطْحاءِ مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتُوضع على صدره ، ثم يقول له : لا تزال هكذا حتى تموتَ ، أو تكفرَ بمحمد، وتعبد اللات والعُزَّى؛ فيقول وهو فى ذلك البلاء: أحَد أحَد.

قال ابنِ إسحاق : وحدثنى هشام بن عُروة عن أبيه ، قال : كان ورقة بن نوْفل يمر به وهو يُعَذَّبَ بذلك ، وهو يقول : أحَد أحَد؛ فيقول : أحَد أحَد واللّه يا بلال ، ثم يُقْبِل على أمية بن خلف ، ومن يصنع ذلك به من بنى جُمَح ، فيقول :أحلف باللّه لئن قتلتموه على هذا لأتخذنَّه حَنَاناً[111]، حتى مر به أبو بكر الصديق ابن أبى قحافة رضى اللّه عنه يوما، وهم يصنعون ذلك به ، وكانت دار أبى بكر في بنى جُمَح ، فقال لأمية بن خلف : ألا تتقي اللّه في هذا المسكين ؟ حتى متى؟! قال : أنت الذي أفسدتَه فأنقذْه مما ترى؛ فقال أبو بكر: أفعل ، عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى، على دينك ، أعْطِيكه به؛ قال : قد قبلتُ فقال : هو لك . فأعطاه أبو بكر الصديق رضى اللّه عنه غلامَه ذلك ، وأخذه فأعتقه.

من أعتقهم أبو بكر: ثم أعتق معه على الإِسلام قبل أن يهاجرَ إلى المدينة سِتَّ رقابٍ ، بلالٌ سابعهم : عامر بن فهيرة، شهد بدراً وأحدا، وقُتل يوم بئر معونة شهيداً؟ وأم عُبَيْس[112] وزِنِّيرة[113]، وأصيب

---

111 حَنَّانا: أي إذا مات أجعل قبره مُتبركاً به .

112 أم عُمَيس ، كانت لبني تيم بن مرة أعتقها أبو بكر، وذكر غير ابن إسحاق هؤلاء الذين عُذبوا في اللّه لما أعطوا بألسنتهم ما سئلوا من الكفر، جاءت قبيلة كل رجل منهم بأنط اع الأدم فيها الماء، فوضعوهم فيها وأخذوهم بأطراف الأنطاع ، واحتملوهم
إلا بلالا.

113 وذكر زنيرة التي أعتقها أبو بكر، وأول اسمها: زاي مكسورة بعدها نون مكسورة مشددة على وزن فعيلة، هكذا صحت الرواية في الكتاب ، والزنيرة: واحدة الزنانير، وهي الحصا الصغار، قاله أبو عبيدة، وبعضهم يقول فيها: زنبرة بفتح الزاي وسكون النون وباء بعدها، ولا تعرف زنبرة في النساء.

بصرُها حين أعتقها، فقالت قريش : ما أذهب بصرَها إلا اللاتُ والعزَّى؛ فقالت : كذَبوا وبيتِ الله ما تضرُّ اللات والعزى وما تنفعان ، فرد اللّهُ بصرَها.

وأعتق الهَدِيةَ وبنتَها، وكانتا لامرأة من بنى عبد الدار، فمر بهما وقد بعثتهما سيدتهما بطحين لها، وهى تقول : واللّه لا أعتقهما أبداً، فقال أبو بكر رضى اللّه عنه : حلّ[114] يا أم فلان؛ فقالت : حِلَّ ، أنت أفسدتهما فأعتقهما؛ قال : فبكم هما؟ قالت بكذا وكذا؛ قال : وقد أخذتهما وهما حرتان ، أرجعا إليها طحينها، قالتا: أو نفرُغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليها؛ قال : وذلك إن شئتما.

ومر بجارية بنى مُؤمَّل ، حَىٍّ من بنى كعب ، وكانت مُسلمة، وعمر بن الخطاب يعذبها لتترك الإسلام ، وهو يومئذ مشرك وهو يضربُها، حتى إذا مل قال : إني أعتذر إليكِ ، إنى لم أتركك إلا ملالة ؛ فتقول : كذلك فعل اللّه بك . فابتاعها أبو بكر، فأعتقها.

أبو قحافة يلوم أبا بكر: قال ابن إسحاق : وحدثنى محمدُ ابن عبد المطلب بن أبى عَتِيق ، عن عامر بن عبداللّه بن الزبير، عن بعض أهله ، قال : قال أبو قحافة لأبي بكر: يا بُنَي ، إنى أراك تُعْتِق رقاباً ضِعافاً فلو أنك إذا ما فعلتَ أعتقتَ رجالاً جُلْداً يمنعونك ويقومون دونَك ؟ فقال أبو بكر رضى اللّه عنه : يا أبتِ ، إنى إنما أريد ما أريد لله

---

[114] أى تحللي من يمينك .

عز وجل . قال : فيُتَحدث أنه ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيه ، وفيما قال له أبوه : { فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى(5)وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى}.[الليل: 5،6] . إلى قوله تعالى : { وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى(19)إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى(20)وَلَسَوْفَ يَرْضَى}.[الليل: 19ـ21]

تعذيب آل ياسر: قال ابن إسحاق : وكانت بنو مخزوم يَخرجون بعمار بن ياسر، وبأبيه وأمه ، وكانوا أهلَ بيت إسلام ، إذا حَمِيت الظهيرة، يعذبونهم برَمْضاء[115] مكة، فيمر بهم رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فيقول فيما بلغني : " صبراً آل ياسر، موعدكم الجنة ". فأما أمه فقتلوها وهى تأبَى إلا الإسلامَ[116] .

وكان أبو جهل الفاسق الذي يُغْري بهم فى رجال من قريش، إذا سمع بالرجل قد أسلم له شرف ومَنَعة، أثَّبه وأخْزاه وقال : تركتَ دينَ أبيك وهو خيرٌ منك ، لَنُسَفهنَّ حلمَك ، ولنفيّلن[117] رأيك ، ولنضعنَّ شرفَك؛ وإن كان تاجراً قال : واللّه لنُكْسِدَن تجارتَك ، ولنُهلكن مالك؛ وإن كان ضعيفا ضربه وأغرَى به .

فتنة المسلمين : قال ابن إسحاق : وحدثني حكيم بن جُبَير عن سعيد بن جُبَير، قال : قلتُ لعبداللّه بن عباس : أكان المشركون يبلغون

---

[115] الرمضاء: الرمال شديدة الحرارة .

[116] أم عمار بن ياسر: هي سُمية، وهي أول شهيدة في الإسلام ، وروي أن عماراً قال لرسول اللّه صلى الله عليه وسلم، لقد بلغ منا العذاب كل مبلغ ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : صبراً أبا اليقظان ، ثم قال : اللهم لا تعذب أحداً من آل عمار بالنار، وسمية أمه ، وهي بنت خياط ، كانت مولاة لأبى حذيفة بن المغيرة، واسمه مهشم ، وهو عم أبى جهل ، ومن ولد عمار: عبد اللّه بن سعد بن الحسن بن عثمان بن الحسن بن عبد اللّه بن عمار
ابن ياسر، وهو المقتول بالأندلس ، قتله عبد الرحمن بن معاوية.

[117] لنفيلن : لنقبحن .

من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم من العذاب ما يُعْذَرون به في ترك دينهم؛ قال : نعم واللّه ، إن كانوا ليُضربون أحدَهم ويجيعونه ويُعَطِّشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضر الذي نزل به ، حتى يعطيَهم ما سألوه من الفتنة، حتى يقولوا له؛ اللاتُ والعُزَّي إلهك من دون اللّه ؟ فيقول نعم ، حتى إن الجُعْلَ ليمر بهم ، فيقولون له : أهذا الجُعْلُ إلهك من دون اللّه ؟ فيقول : نعم ، افتداء منهم مما يبلغون من جهده .

هشام يرفض تسليم الوليد إلى قريش: قال ابن إسحاق :

وحدثني الزبير بن عُكَّاشة بن أبي أحمد أنه حُدِّث أن رجالا من بنى مخزوم مَشَوْا إلى هشام بن الوليد، حين أسلم أخوه الوليد بن الوليد، وكانوا قد أجمعوا على أن يأخذوا فتية منهم كانوا قد أسلموا، منهم : سَلَمة ابن هشام ، وعياش بن أبى ربيعة . قال : فقالوا له وخَشَوْا شرَّهم : إنا قد أردنا أن نعاتب هؤلاء الفتية على هذا الدين الذي أحدثوا، فإنا نأمن بذلك في غيرهم . قال : هذا، فعليكم به ، فعاتبوه وإياكم ونفسَه ، وأنشأ يقول :

ألا لا يقتلنَّ أخي عُيَيْش فيبقى بينَنا أبداً تلاحِي

احذروا على نفسِه ، فأَقْسم باللّه لئن قتلتموه لأقتلنَّ أشرفَكم رجلاً قال : فقالوا: اللهم العنْه ، من يُغَرر بهذا الخبيث ، فواللّه لو أصيب فى أيدينا لقتلَ أشرفَنا رجلا. قال : فتركوه ونزعوا عنه . قال : وكان ذلك مما دفع اللّهُ به عنهم .

ذكر الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة

قال ابن إسحاق : فلما رأى رسول اللّٰه صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابَه من البلاء، وما هو فيه من العافية، بمكانه من اللّٰه ومن عمه أبي طالب ، وأنه لا يقدر أن يمنعَهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها مَلَكا[118] لا يُظْلَم عنده أحدٌ ، وهي أرضُ صدقٍ ، حتى يجعلَ اللّٰهُ لكم فرجاً مما أنتم ؛ فخرج عند ذلك المسلمون من أصحابِ رسول اللّٰه صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة، وفراراً إلى اللّٰه بدينهم ، فكانت أولَ هجرة كانت فَى الإِسلام

أوائل المهاجرين إلى الحبشة: وكان أولَ من خرج من المسلمين من بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لُؤَي بن غالب بن فهر: عثمانُ بن عفان بن أبى العاص .بن أمية، معه امرأته رقية بنت رسول اللّٰه صلى الله عليه وسلم .

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : أبو حُذَيفة بن عُتبة بن ربيعة ابن عبد شمس ، معه امرأته : سَهْلة بنت سُهَيْل بن عَمرو، أحد بني عامر بن لُؤَي ، وَلَدت له بأرض الحبشة محمدَ بن أبي حُذَيفة . ومن بني أسد بن عبد العُزى بن قصي : الزبير بن العوام بن خُوَيلد بن أسد. ومن بني عبد الدار بن قصى: مُصْعَب بن عُمير بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار. ومن بنى زهرة بن كلاب : عبد الرحمن ابن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زُهرة . ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة: أبو سَلَمة بن عبد الأسد بن هلال بن

---

[118] ملكاً: يطلق عليه النجاشي لأنه اسم لكل ملك يلي الحبشة، كما أن كسرى اسم لمن ملك الفرس ، وخاقان اسم لملك الترك كائنا من كان ، وبطليموس : اسم لمن ملك اليونان ، واسم هذا النجاشى: أصحمة بن أبحر وتفسيره : عطية.

عبداللّه بن عُمر بن مخزوم ، ومعه امرأته : أم سَـلَمة بنـت أبـى أميـة بـن المغيرة بن عبداللّه بن عُمر بن مخزوم . ومن بني جمَح بن عمرو ابن هُصـيْص بن كعب : عثمان بن مظعون بن حبيب بن وَهْب بن حُذافة بن جمَح . ومن بنى عدي بن كعب : عامر بن ربيعة، حليف آل الخطاب ، من عَنـز بـن وائـل - معـه امرأتُه ليلى بنت أبي حَثْمة ابن حذافة بن غانم بن عامر بن عبـداللّه بـن عـوف بن عبيد بن عُوَيج ابن عدي بن كعب. ومن بني عامر بن لـؤي : أبـو سَـبْرة بـن أبى رُهْم بن عبد العُزى بن أبى قيْس بن عبد وُد بن نصر بـن مالـك ابـن حِسْـل بن عامر، ويقال : بل أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس ابن عبد وُدّ بـن نصـر بن مالك بن حِسْل بن عامر ويقال : هو أول من قدمها. ومن بنى الحـارث بـن فهر: سُهَيْل ابن بيضاء، وهو سُهَيْل ابن وهب بن ربيعة بـن هلال بـن أهَيْـب بـن ضَبَّة بن الحارث ، فكان هؤلاء العشرة أول من خرج من المسـلمين إلـى أرض الحبشة، فيما بلغني .

قال ابن هشام : وكان عليهم عثمانُ بن مظعون ، فيما ذكر لي بعـض أهل العلم .

قال ابن إسحاق : ثم خرج جعفرُ بن أبى طالب رضـى اللّـه عنـه ، وتتـابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة، فكانوا بها، منهم من خرج بأهله معه ، ومنهم من خرج بنفسه لا أهلَ له معه .

المهاجرون من بني هاشم : ومن بني هاشم بن عبد مناف بن قصـى بن كلاب بن مُرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهْر: جعفر ابن أبي طـالب بـن عبد المطلب بن هاشم ، معه امرأتُه أسماء بنت عُمَيْر بن النعمان بن كعب بـن مالك بن قحافة بن خَثْعم ، ولدت له بأرض الحبشة: عبدَاللّه بن جعفر، رجل .

المهاجرون من بنى أمية : ومن بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف : عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، معه امرأته : رقيةُ ابنة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، وعَمرو بن سعيد بن العاص ابن أمية، معه امرأته : فاطمة بنت صفوان بن أمية بن مُحَرِّث بن شِق بن رَئَبة بن مُخْدِج الكنانى، وأخوه خالد بن سعيد بن العاص ابن أمية، معه امرأته أمَيْنة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة ابن سبيع بن جُعْثُمة بن سعد بن مُلَيْح بن عمرو، من خزاعة .

قال ابن هشام : ويقال هُمَيْنة بنت خلف .

قال ابن إسحاق : ولدت له بأرض الحبشة سعيد بن خالد، وأمَةَ بنت خالد، فتزوج أمةَ بعد ذلك الزبيرُ بن العوام ، فولدت له عمرو ابن الزبير، وخالد بن الزبير.

المهاجرون من بنى أسد: ومن حلفائهم ، من بنى أسد بن خُزَيمة: عبداللّه بن جَحْش بن رِئاب بن يَعْمر بن صَبْرة بن مرة بن كبير ابن غَنْم بن دُودان بن أسد؛ وأخوه عُبَيْد اللّه بن جَحْش ، معه امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب بن أمية . وقيس بن عبداللّه ، رجل من بنى أسد بن خُزَيمة، معه امرأته بركة بنت يسار، مولاة أبى سفيان ابن حرب بن أمية؛ ومعيقيب بن أبي فاطمة . وهؤلاء آل سعيد بن العاص ، سبعة نفر.

قال ابن هشام : مُعَيْقيب من دوس .

المهاجرون من بني عبد شمس : قال ابن إسحاق : ومن بنى عبد شمس[119] بن عيد مناف أبو حُذيفة بن عُتبة بن ربيعة بن عبد

---

[119] عبد شمس أو عبشمس: ولا يختلف في عبد شمس أنه بالدال ، وأما عبشمس بن سعيد بن زيد مناة بن تميم ، فقال فيه أبو عبيد والقتبي عبد شمس كما في الأول . وقال أكثر الناس فيه ، عبشمس ، ثم اختلفوا في معناه ، فقيل ، معناه : عبد شمس، لكن أدغمت الدال ، وقيل : بل عبشمس وعب الشمس هو ضوؤها أو صفاؤها، وقيل في المثل : هو أبرد من عبقر أي : البرد. وفيه قول ثالث : أعنى : عبشمس. وهو مروي عن ابن عمر. وقال معناه : عبء شمس بالهمزة، ثم حذفت الهمزة تسهيلا.

شمس؛ وأبو موسى الأشعري ، واسمه عبداللّه بن قيس ، حليف آل عُتبة بن ربيعة، رجلان .

المهاجرون من بني نَوْفل : ومن بنى نَوْفل بن عبد مناف : عُتبة ابن غَزْوان بن جابر بن وهب بن نسيب بن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عِكرمة بن خصَفَة، بن قَيس بن عَيْلان ، حليف لهم ، رجل .

المهاجرون من بني أسد: ومن بني أسد بن عبد العُزَّى بن قصى : الزبير بن العوام بن خُوَيْلد بن أسد، والأسْوَد بن نَوْفل بن خُوَيلد بن أسد، ويزيد بن زَمْعة بن الأسْوَد بن المطلب بن أسد. وعُمر بن أمية بن الحارث بن أسد، أربعة نفر.

المهاجرون من بني عبد بن قُصي : ومن بنى عبد بن قُصى: طُلَيب بن عُمَيْر بن وهب بن أبى كبير بن عبد بن قصى، رجل .

المهاجرون من بني عبد الدار بن قصى : ومن بنى عبد الدار ابن قُصى : مُصعَب بن عُمَيْر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وسُوَيْبط بن حرملة بن مالك بن عُمَيْلة بن السبَّاق بن عبد الدار، وجَهْم بن قَيْس بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، معه امرأته : أم حَرْملة بنت عبد الأسْود بن جُذيمة بن أقْيش ابن عامر بن بَيَاضة بن سُبيع بن جُعْثمة بن سعد بن مُلَيح بن عمرو،

من خزاعة؛ وابناه : عَمرو بن جَهْم وخُزيمة بن جَهْم . وأبو الرُّوم بن عُمَير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار؛ وفِراس بن النضْر بن الحارث بن كَلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار، خمسة نفر.

المهاجرون من بني زهرة : ومن بنى زُهرة بن كلاب : عبد الرحمن بن عوف بن عبْد عَوْف بن عبد بن الحارث بن زُهرة وعامر بن أبى وقَّاص وأبو وقَّاص مالك بن أهَيْب بن عبد مناف ابن زُهرة والمطَّلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث ابن زُهْرة، معه امرأته رملة بنت أبى عوف بن ضُبَيْرة بن سعيد بن سعد بن سهم ، وَلدت له بأرض الحبشة : عبدَاللّه بن المطلب[120] .

المهاجرون من بنى هذيل : ومن حلفائهم من هُذَيل : عبداللّه ابن مسعود بن الحارث بن شَمْخ بن مخزوم بن صَاهلة بن كاهل ابن الحارث بن تميم بن سعد بن هُذَيل : وأخوه : عُتبة بن مسعود.

المهاجرون من بهراء: ومن بهراء: المِقْداد بن عَمرو بن ثعلبة ابن مالك بن ربيعة بن ثُمامة بن مطرود بن عَمرو بن سعد بن زُهَير بن لُؤَي بن ثعلبة بن مالك بن الشَّريد بن أبى أهْوز بن أبى فائش بن دُرَيم بن القَيْن بن أهود بن بهراء بن عَمرو بن الحاف ابن قضاعة .

قال ابن هشام : ويقال هزل بن فاس بن ذَر، ودَهِير بن ثَوْر.

قال ابن إسحاق : وكان يقال له المقداد بن الأسود بن عبد يغوث

---

[120] ذكر من بني زهرة من هاجر إلى أرض الحبشة، وهم ستة نفر، ولم يذكر السابع ،وهو: عبد اللّه بن شهاب جد محمد بن مسلم بن عبد اللّه بن شهاب الزهري،وكان اسمه : عبد الجان ، فسماه رسول اللّه صلى: عبد الله مات بمكة بعد الفتح وأخوه عبد اللّه الأصغر شهد أحداً مع المشركين ، ثم أسلم .

ابن وهب بن عبد مناف بن زُهرة، وذلك أنه تبنـاه فـى الجاهليـة وحـالفه ، ستة نفر.

الهاجرون من بنى تيم : ومن بني تَيْم بن مـرة : الحـارث بـن خالـد بـن صخر بن عَامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْـم ، معـه امرأتـه : رَيْطـة بنـت الحارث بن جَبَلَة بن عامر بن كعب بن سعد بن تَيْم ، ولدت له بـأرض الحبشـة: موسى بن الحارث وعائشة بنت الحارث ، وزينب بنـت الحـارث وفاطمـة بنـت الحارث . وعَمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم ، رجلان .

المهاجرون من في مخزوم : ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة : أبـو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبداللّه بن عُمر بن مخزوم ، ومعه امرأته. أم سَلَمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبداللّه بن عمـر ابـن مخـزوم ، ولـدت لـه بأرض الحبشة : زينبَ بنت أبى سلمة، واسـم أبـي سـلمة عبـداللّه ، واسـم أم سلمة : هند. وشَمَّاس بن عثمان بن الشَّرِيد ابن سُوَيْد بن هَرْمِى بن مخزوم .

خبر الشماس : قال ابن هشام : واسم شَمَّاس : عثمان ، وإنما سُمى شماسـا، لأن شماسـا مـن الشمامسـة قَـدِم مكـة فـي الجاهليـة، وكـان جميلا فعجب الناس من جماله ، فقال عتبة بن ربيعة، وكان خال شماس : أنـا آتيكـم بشماس أحسن منه ، فجاء بابن أخته عثمان بن عثمان ، فسمى شماسا، فيمـا ذكر ابن شهاب وغيره .

قال ابن إسحاق : وهَبَّار بن سفيان بن عبد الأسَد بن هلال بن عبداللّه بن عُمر بن مخـزوم ، وأخـوه عبـداللّه بـن سـفيان : وهشـام بـن أبـى حذيفـة بـن المغيرة بن عبداللّه بن مخزوم ،. وسلمة بن هشام بن المغيرة بن عبداللّه بـن عُمر بن مخزوم ؛ وعَيَّاش بن أبى ربيعة بن المغيـرة بـن عبـداللّه بـن عمـر بـن مخزوم .

المهاجرون من حلفاء بني مخزوم؛ ومن حلفائهم ، مُعَتِّب بن عَوْف بن عامر بن الفضل بن عفيف بن كُلَيب بن حَبشية ابن سلول ابن كعب بن عمرو، من خزاعة، وهو الذي يقال له : عَيْهامة، ثمانية نفر. قال ابن هشام : ويقال حُبْشية ابن سلول ، وهو الذي يقال له معتِّب ابن حمراء.

المهاجرون من بني جُمح : ومن بني جُمح بن عَمرو بن هُصَيْص ابن كعب : عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حُذافة بن جُمَح وابنه السائب بن عثمان : وأخواه قُدامة بن مظعون ، وعبداللّه ابن مظعون؛ وحاطب بن الحارث بن مَعْمَر بن حبيب بن وهب بن حُذافة بن جُمَح ، معه امرأته : فاطمةُ بنت المجلَّل بن عبداللّه بن أبى قيس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر: وابناه : محمد ابن حاطب ، والحارث بن حاطب ، وهما لبنت المجلَّل؛ وأخوه حطاب ابن الحارث ، معه امرأته فُكَيهة بنت يسار؛ وسفيان بن معمر بن حبيب ابن وهب بن حُذافة بن جُمَح ، معه ابناه جابر بن سفيان ، وجُنادة ابن سفيان ، ومعه امرأته حَسنة، وهى أمهما، وأخوهما من أمهما شَرَحْبيل ابن حسنة، أحد الغوث .

قال ابن هشام : شرحبيل بن عبداللّه أحد الغَوث بن مُرّ، أخى تميم بن مر.

قال ابن إسحاق : وعثمان بن ربيعة بن أهبان بن وهب بن حُذافة ابن جُمَح ، أحد عشر رجلا.

المهاجرون من بني سهم : ومن بنى سَهْم بن عمرو بن هُصَيْص ابن كعب ، خنَيْس بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم ؛

وعبداللّه بن الحارث بن قَيْس بن عَدِي بن سعد بن سهل ، وهشام ابن العاص بن وائل بن سعد بن سهم .

قال ابن هشام : العاص بن وائل بن هاشم بن سعد بن سهم . **قال ابن إسحاق** : وقَيْس بن حُذافة بن قَيْس بن عَدِي بن سعد ابن سهم ، وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم ، وعبداللّه بن حُذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم ، والحارث ابن قيس بن عدي بن سعد بن سهم ، ومَعْمَر بن الحارث بن قَيْس ابن عدي بن سعد بن سهم؛ وبِشر بن الحارث بن قَيْس بن عَدِي ابن سعد بن سهم ، وأخ له من أمه من بني تميم ، يقال له : سعيد ابن عمرو، وسعيد بن الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم؛ والسَّائب بن الحارث بن قَيْس بن عدي بن سعد بن سهم . وعُمَيْر ابن رِئاب بن حُذيفة بن مُهَشم بن سعد بن سهم . ومَحْمِية بن جَزْء، حليف لهم ، من بنى زبيد، أربعة عشر رجلا.

المهاجرون من بني عدي : ومن بنى عدي بن كعب : مَعْمر ابن عبدالله بن نَضْلَة بن عبد العُزَّى بن حُرْثان بن عَوْف بن عُبَيد ابن عُوَيْج بن عدي وعُروة بن عبد العُزَّى بن حُرْثان بن عوف بن عُبَيد بن عُوَيج بن عَدِيّ ، وعدي بن نَضْلَة بن عبد العُزى بن حُرْثان ابن عَوْف بن عُبَيد بن عُوَيج بن عدي ، وابنه النعمان بن عَدِيّ ، وعامر ابن ربيعة، حليف لآل الخطاب ، من عنز بن وائل ، معه امرأته ليلى بنت أبي حَثْمَة بن غانم . خمسة نفر.

المهاجرون من بنى عامر: ومن بنى عامر بن لؤي : أبو سَبْرة ابن أبى رُهْم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد وُد بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، معه امرأته : أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو

ابن عبد شمس بن عبد وُد بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، وعبداللّه بن مَخْرَمة بن عبد العُزى بن أبي قيس بن عبد وُد بن نصر ابن مالك بن حِسْل بن عامر، وعبداللّه بن سُهَيل بن عَمرو بن عبد شمس بن عبد وُد بن مالك بن حِسْل بن عامر، وسَلِيط بن عَمرو ابن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، وأخوه السكران بن عمرو، معه : امرأته سَوْدَة بنت زَمْعَة بن قَيْس ابن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، ومالك بن زَمْعَة بن قَيْس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، معه : امرأته عمرة بنت السَّعْدي بن وَقْدان ابن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، وحاطب بن عَمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك ابن حِسْل بن عامر، وسعد بن خولة، حليف لهم ، ثمانية نفر.

قال ابن هشام : سعد بن خَولة من اليمن .

المهاجرون من بني الحارث : قال ابن إسحاق : ومن بنى الحارث ابن فِهْر: أبو عُبَيْدة بن الجراح ، وهو عامر بن عبداللّه بن الجراح بن هلال بن أهَيْب بن ضَبَّة بن الحارث بن فِهر، وسُهَيل ابن بيضاء، وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن أهَيْب بن ضَبَّة بن الحارث ، ولكن أمه غلبت على نسبه ، فهو ينسب إليها، وهى دعد بنت جحدم ابن أمية من ظرب بن الحارث بن فِهْر، وكانت تدعى بيضاء، وعمرو ابن أبي سَرْح بن ربيعة بن هلال بن أهَيب بن ضَبَّة بن الحارث ، وعياض بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث ، ويقال : بل ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة، وعمرو بن الحارث بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن مالك بن ضَبة بن الحارث ، وعثمان بن عبد غنْم بن زهير بن أبى شداد بن

ربيعة بن هلال بن مالك بن ضَبة بن الحـارث ، وسـعد بـن عبـد قيـس ابـن لَقيط بن عامر بن أميّة بن ظَرَب بن الحارث ، والحارث بن عبد قَيْس بن لَقيط بن عامر بن أمية بن ظَرَب بن الحارث بن فهر. ثمانية نفر[121] . .

عدد مهاجري الحبشة : فكان جميع من لحق بأرض الحبشة، وهاجر إليها من المسلمين ، سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغاراً وولدوا بهـا، ثلاثـة وثمانين رجلا، إن كان عمار بن ياسر فيهم ، وهو يُشَك فيه[122] .

شعر عبداللّه بن الحارث في هجرة الحبشـة : وكـان ممـا قيـل مـن الشعر فى الحبشة أن عبداللّه بن الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم ، حين أمنوا بأرض الحبشة، وحمدوا جوار النجاشي وعبدوا اللّه لا يخافون على ذلك أحداً، وقد أحسن النجاشيُّ جوارَهم حين نزلوا به قال :

يا راكباً بَلِّغَنْ عني مُغَلْغَلةً من كان يرجو بلاغَ اللّهِ والـدينِ[123]

كلُّ امرئٍ من عبادِ اللّه مضطهد ببطن مكةَ مقهورٍ ومفتـونِ

أنا وجدنا بلادَ اللّه واسعـةً تُنجي من الذلِّ والمَخْزاةِ والهـونِ

فلا تقيموا على ذلِّ الحياةِ وخِز يٍ في الممات وعيـشٍ غيـرِ مـأمونِ

إنا تبعنا رسولَ اللّه واطَّرحوا قولَ النبيِّ وعالوا في المـوازينِ[124]

---

[121] لم يذكر فيهم تميم بن الحارث ، وذكره الواقدي وغيره . والحارث بـن قيـس كان أبوه من المستهزئين الذين أنزل اللّه فيهم : {إِنَّا كَفَيْنَاكَ المُستَهزئينَ} .

[122] شك ابن إسحاق في عمـار بـن ياسـر: هـل هـاجر إلـى أرض الحبشـة، أم لا ؟ والأصح عند أهل السير كالواقدي وابن عقبة . وغيرهما أنه لم يكن فيهم .

[123] المغلغلة : الرسالة .

[124] عالوا: خانوا.

فاجعل عذابَك في القومِ الذين بَغَوْا وعائذاً بك أن يغلوا فيطغـــونى

وقال عبداللّه بن الحارث أيضاً، يذكر نفى قريش إيـاهم مـن بلادهـم ، ويعـاتب بعض قومه فى ذلك :

أبتْ كَبِدي ، لا أكْذِبَنْكَ ، قتالَهم عليَّ وتأباه علىَّ أناملى
وكيف قتالي معَشراً أدَّبوكمُ على الحق أن لا تأشِبوه بباطلِ[125]
نفتهمْ عِبادُ الجنِّ من حُرِّ أرضِهم فأضْحَوْا على أمر شديدِ البلابلِ[126]
فإن تكُ كانت فى عَدِي أمانةٌ عديّ بن سعد عن تُقًى أو تواصلِ
فقد كنت أرجو أن ذلك فيكمُ بحمدِ الذي لا يُطَّبي بالجعائل[127] .
وبُدِّلت شِبلاً شبْلَ كل خبيئةٍ بذي فَجَر مأوَى الضِّعافِ الأراملِ[128]

وقال عبداللّه بن الحارث أيضاً:

وتلك قريشٌ تجحَدُ اللهَ حقَّه كما جحدت عاد ومدينُ والحِجْرُ[129]
فإن أنا لم أبرِقْ فلا يَسَعَنَّنــى من الأرضِ برٌّ ذو فضاءٍ ولا بحرُ[130]
بأرضٍ بها عَبدَ الِإلهَ محمـــدٌ أبيِّنُ ما فى النفسِ إذ بلغ النَّقْرُ[131]

---

125 أن لا تأشبوه : أي أن لا تخلطوه .

126 البلابل : وساوس الأحزان .

127 لا يطبي بالجعائل : لا يستمال بالرِّشوة .

128 الفجر : العطاء .

129 الحجر: ليست بأمَّة . ولكنها ديار ثمود. أراد: أهل الحجر، وأما مدين فأنه شعيب ، وهم بنو مديان بن إبراهيم عليه السلام ، وأمهم : قطورا بنت يقظان الكنعانيـة، ولدت له ثمانية من الولد تناسلتَ منهم أمم ، ذكرهم السهيلى في كتابه التعريف والإعلام ونقله السيوطي عنه .

130 وبالبيت سمى المبرق بهذا الاسم .

131 النقر: البحث .

فسمي عبداللّه بن الحارث - يرحمه اللّه - لبيته الذي قال :
" المُبْرِ ق " .
وقال عثمان بن مظعون يعاتب أمية بـن خلـف بـن وهـب بـن حُذافـة ابـن جُمَح ، وهو ابن عمه وكان يؤذيه في إسلامه ، وكان أمية شريفا فى قـومه فـي زمان ذلك :

أتَيْمَ بنَ عمرو للذي جاء بغضُه ومن دونه الشَّرمان والبرك اكتع[132]
أأخرجتنى من بطن مكةَ آمنـاً وأسكنتنى في صرح بيضاء ِتقذع[133]
تَريشُ نبالاً لا يواتيك ريشُهـا وتَبْري نبالاً ريشُهَا لكَ أجمعُ
وحاربتَ أقواما كراماً أعــزَّةً أهلكتَ أقواماً بهم كنتَ تَفْزعُ
ستعلم إن نابتْك يوماً مُلِمــَّةٌ وأسلمك الأوباشُ ما كنتَ تصنعُ[134]

وتَيْم بن عمرو، الذي يدعو عثمان ، جمحُ ، كان اسمه تَيْما.

---

[132] الشرمان : تثنية شرم وهو لجة البحر، والبرك : الإبل الباركة.
[133] صرح بيضاء: مدينة الحبشة. وأصل الصرح : القصر، يريـد: أنـه سـاكن عند صرح النجاشي .
وتقذع : أي : تكره كأنه من أقذعت الشيء ، إذا صادفته قذعاً، ويقال أيضـاً: قـذعت الرجل إذا رميته بالفحش، ويريد أن أرض الحبشة مقذوعة، وأحسب هذه الرواية تصحيفاً ، والصحيح : عن قول الزبير وروايته ، أنه بيطاء بالطـاء وتقـدع بالـدال - وانظر: الروض الأنف للإمام السهيلي من تحقيقنا.
[134] الأوباش : ويريد أخلاطا من الناس ، يقال : أوشـاب وأوبـاش ، والأوبـاش أيضـاً شجر متفرق والوبش بياض في أظفار الأحداث .

إرسال قريش إلى الحبشة في طلب المهاجرين إليها

من أرسلتهما قريش في طلب المهاجرين : قال ابـن إسـحاق : فلما رأت قريش أن أصـحاب رسـول اللّـه صـلى اللـه عليـه وسـلم قـد أمنـوا واطمأنوا بأرض الحبشة، وأنهم قد أصابوا بهـا داراً ومَـراراً، ائتمـروا بينَهـم أن يبعثوا فيهم منهم رجلين من قريش جَلْـدَين إلـى النجاشـي ، فيردهـم عليهـم ، ليفتنوهم في دينهم ، ويخرجوهم من دارِهـم ، الـتي اطمـأنوا بهـا وأمنـوا فيهـا؛ فبعثوا عبدَاللّه بن أبى ربيعة، وعَمرو بن العاص بن وائل ، وجمعـوا لهمـا هـدايا للنجاشي ولبطارقته[135] ، ثم بعثوهما إليه فيهم .

شعر أبي طالب للنجاشي : فقـال أبـو طـالب ، حيـن رأى ذلـك مـن رأيهم وما بعثوهما فيه ، أبياتـا للنجاشـى يحضـه علـى حسـنِ جـوارِهم والـدفع عنهم :

ليـتَ شِـعْري كيـفَ فـى النـأيِ جعفـرٌ وعمـرو وأعـداءُ العـدو الأقـاربُ[136]
وهـل نـالت افعـالُ النجاشـيِّ جفــراً وأصـحابَه أو عـاق ذلـك شـاغبُ

---

[135] بطارقته : قواده .
[136] النأي : البعد.

تعلَّم أبيتَ اللعنَ ، أنك ماجـدٌ كريم فلا يَشْقَى لديك المُجانِبُ[137]
تعلَّم بأن اللّه زادك بَسْطـةً واسبابَ خير كلُّها بك لاَزِبُ[138]
وأنكَ فيْض ذو سِجالٍ غزيرةٍ ينال الأعادي نفعَها والأقَاربُ

حديث أم سلمة[139] عن الرسولين اللذين أرسلتهما قريش للنجاشي

: قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن مسلم الزهريّ عن أبى بكـر بن عبـد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي ، عن أم سـلمة بنـت أبـي أميـة بـن المغيـرة زوج رسـول اللّـه صـلى اللـه عليـه وسـلم ، قـالت : لمـا نزلنـا أرض الحبشة، جاورنا بها خيرَ جار: النجاشيَّ، أمِنَّا علـى ديننـا، وعبـدنا اللّـهَ تعـالى لا نُؤْذَي ولا نسمعُ شيئا نكرهه فلما بلغ ذلك قريشا، ائتمروا بينهـم أن يبعثـوا إلـى النجاشي فينا رجلين منهم جَلْدَينِ؛ وأن يهدوا للنجاشـى هـدايا ممـا يسـتطرِف من متاعِ مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منهـا الأدَم[140] ، فجمعـواله أدَمـاً كـثيراً، ولم يتركوا من بطارقته بطريقا إلا أهدوا له هدية، ثم بعثـوا بـذلك عبـداللّه بـن أبى ربيعة، وعمرو ابن العاص ، وأمروهما بأمرهم ، وقالوا لهما: ادفعا إلى كـل بطريق هديته قبل أن تكلما النجاشي فيهم ، ثم قدما إلى النجاشي هداياه ، ثم سلاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم .

قالت : فخرجا حتى قدما على النجاشي ، ونحن عنـدَه بخيـر دار، عنـد خيـرِ جارٍ ، فلم يبقَ من بطارقته بطريقٌ إلا دفعا إليه هديته قبل

---

137 المجانب : الداخل في الحمى .

138 لازب : لاصق .

139 أم سلمة وبعلها أبو سلمة، توفي عنها بالمدينة، وخلف عليها رسول اللّه صـلى الله عليه وسلم وقيل في اسمها: رملة، وأبوها أبو أمية اسمه حذيفة يعرف بـزاد الراكب . انظر الإصابة، للحافظ ابن حجر وعلى ذيلها الاستيعاب للإمام ابـن عبـد البر - تصدر قريباً من تحقيقنا.

140 الأدم : الجلود.

أن يكلما النجاشى، وقالا لكل بطريق منهم : إنه قد ضوَى[141] إلى بلد الملك منا غلمان سُفهاء، فارقوا دينَ قومهم ، ولم يدخلوا في دينكم ، وجاءوا بدين مبتدَع ، لا نعرفه نحن ولا أنتم وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم إليهم ، فإذا كلمنا الملك ، فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم ، فإن قومهم أعلَى بهم عيناً[142] ، وأعلم بما عابوا عليهم؛ فقالوا لهما: نعم .

ثم إنهما قدما هداياهما إلى النجاشي فقبلها منهما، ثم كلماه فقالا

له : أيها الملك ، إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دينَ قومهم ، ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه ، لا نعرفه نحنُ ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم لتردَّهم إليهم ، فهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه . قالت : ولم يكن شيء أبغض إلى عبدالله بن أبى ربيعة وعمرو ابن العاص من أن يسمع كلامَهم النجاشيُّ .

قالت : فقالت بطارقته حوله : صَدَقا أيها الملك قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم فأسلمْهم إليهما. فليردَّاهم إلى بلادهم وقومهم .

قالت : فغضب النجاشي ، ثم قال : لاهَا اللّه ، إذن لا أسلمهم إليهما، ولا يكاد قوم جاوروني ، ونزلوا بلادي ، واختاروني على من سواي ، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم ، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما، ورددتهم إلى قومِهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحسنت جوارَهم ما جاوروني .

الحوار الذي دار بين المهاجرين والنجاشي : قالت : ثم أرسل إلى أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فدعاهم ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، قال بعضُهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا جئتموه؛ قالوا: نقول واللّه ما علمنا، وما أمرنا به نبينا صلى الله عليه وسلم كائنا في ذلك ما هو كائن .

فلما جاءوا، وقد دعا النجاشي أساقفته ، فنشروا مصاحفهم حوله سألهم فقال لهم : ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا في ديني ، ولا في دين أحد من هذه المِلل ؟

قالت : فكان الذي كلمه جعفر بن أبى طالب ، فقال له : أيها الملك ، كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام ، ونأكلُ الميتةَ، ونأتي الفواحشَ، ونقطع الأرحام . ونسيء الجوار ويأكل القويُّ منا الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث اللّه إلينا رسولاً منا، نعرف نسبَه وصدقَه وأمانته وعفافَه ، فدعانا إلى اللّه لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارةِ والأوثانِ وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلةِ الرَّحم وحسنِ الجوار، والكفِّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد اللّه وحده ، لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام – قالت : فعدد عليه أمور الإسلام – فصدقناه وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به من اللّه ، فعبدنا اللّهَ وحدَه ، فلم نشرك به شيئاً، وحرَّمنا ما حرَّم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومُنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة اللّه تعالى، وأن نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ؛ ورغبنا في جوارِك ، ورجونا أن لا نُظلَم عندك أيها الملك .

---

[141] ضوى:لجأ.

[142] أي أبصر بهم من غيرهم .

قالت : فقال له النجاشي : هل معك مما جاء به عن اللّه من شىء؟
قالت : فقال له جعفر: نعم ؛ فقال له النجاشي: فاقرأه على؛ قالت :
فقرأ عليه صدراً من : "كهيعص " قالت : فبكى واللّه النجاشي حتى اخضلت لحيته ، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفَهم ، حين سمعوا ما تلا عليهم .
ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مِشكاةٍ واحدة، انطلِقَا، فلا واللّه لا أسلمهم إليكما، ولا يُكَادون .
رأي المهاجرين في عيسى أمام النجاشي : قالت : فلما خرجا من عنده ، قال عمرو بن العاص: واللّه لآتينه غداً عنهم بما استأصل به خَضرَاءَهم . قالت : فقال له عبداللّه بن أبي ربيعة وكان أتقى الرجلين فينا : لا تفعل فإن لهم أرحاماً، وإن كانوا قد خالفونا؛ قال : واللّه لأخبرنَّه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عَبْدٌ . قالت : ثم غدا عليه من الغد فقال : أيها الملك ، إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً، فأرسِلْ إليهم فسلْهم عما يقولون فيه . قالت : فأرسل إليهم ليسألهم عنه . قالت : ولم ينزل بنا مثلها قطّ . فاجتمع القوم ، ثم قال بعضهم لبعض : ماذا تقولون في عيسى ابن مريم إذا سألكم عنه ؟ قالوا: نقول واللّه ما قال اللّه ، وما جاءنا به نبينا كائنا في ذلك ما هو كائن .
قالت : فلما دخلوا عليه ، قال لهم : ماذا تقولون في عيسى ابن مريم ؟ قالت : فقال جعفر بن أبي طالب : نقول فيه الذي جاءنا به نبيُّنا صلى اللّه عليه وسلم : هو عبد اللّه ورسوله وروحه وكلمته[143] ألقاها إلى مريم

---

[143] روح اللّه وكلمته : معنى: كلمته أي : قال له ، كما قال لآدم حين خلقه من تراب ،ثم قال له : كن فكان .
أما روح اللّه، فلأنه نفخه روح القدس في جيب الطاهرة المقدسة، والقدس : الطهارة من كل ما يشين ، أو يعيب ، أو تقذره نفس ، أو يكرهه شرع ، وجبريل : روح القدس ، فهو مضاف إلى اللّه سبحانه إضافة تشريف وتكريم ، لأنه صادر عن الحضرة المقدسة وعيسى عليه السلام صادر عنه ، فهو: روح اللّه على هذا المعنى جل جلال اللّه .

العذراء البتول قالت : فضرب النجاشى بيده إلى الأرض فأخذ منها عُـوداً، ثم قال : واللّه ما عدا عيسى ابن مريم ما قلتَ هـذا العـودَ. قـالت : فتنـاخرت بطارقته حوله حين قال ما قال؛ فقال : وإن نخرتم واللّه ، اذهبوا فـأنتم شـيوم بأرضى – والشيوم[144] : الآمنون – من سبَّكم غَرِم ، ثم قال : من سـبكم غَـرِم ، ثم قال : من سبكم غَرِم . ما أحبُّ أن لي دَبـراً مـن ذهـب ، وأنـى آذيـت رجلاً منكم .

قال ابن هشام : ويقال دبري من ذهب ، ويقـال : فـأنتم سـيوم . والـدبر بلسان الحبشة : الجبل - ردوا عليهما هداياهما، فلا حاجـة لـي بهـا، فـواللّه مـا أخذ اللّه من الرِّشْوَة حين ردَّ علىَّ ملكَي ، فآخذ الرِّشوة فيه ، وما أطاع الناس فىَّ فأطيعهم فيه . قالت : فخرجا من عنده مَقْبوحَيْن مردوداً عليهما مـا جـاءا به ، وأقمنا عنده بخير دار، مع خير جار[145].

---

144 الشيوم : هم الآمنون ، فيحتمل أن تكون لفظة حبشية غير مشتقة، ويحتمل أن يكون لها أصل في العربية، وأن تكون من شمت السيف إذا أغمـدته ، لأن الآمـن مغمد عنه السيف ، أو لأنه مصون في صوان وحرز كالسيف في غمده . الـروض الأنف جـ 2 ص 92

145 حديث أصحاب الهجرة مع النجاشي، فيه من الفقه : الخروج عن الوطن ، وإن كان الوطن مكة على فضلها، إذا كان الخروج فراراً بالدين ، وإن لم يكن إسلام ، فإن الأحباش كانوا نصارى يعبدون المسيح ، ولا يقولون : هو عبد اللّه . وقد تبين ذلك في هذا الحديث ، وسموا بهذه مهاجرين ، وهم أصحاب الهجرتين الذين أثنى اللّه عليهم بالسبق ، فقال : { والسابقون الأولـون } وجـاء فـي التفسـير: أنهـم الذين صلوا القبلتين ، وهاجروا الهجرتين ، وقد قيل أيضاً: هم الذين شـهدوا بيعـة الرضوان ، فانظر كيف أثنى اللّه عليهم بهذه الهجرة، وهـم قـد خرجـوا مـن بيـت اللّه الحرام إلى دار كفر، لما كان فعلهـم ذلـك احتياطـاً علـى دينهـم ، ورجـاء أن يخلى بينهم وبين عبادة ربهم ، يذكرونه آمنين مطمئنين .

المهاجرون يفرحون بانتصار النجاشي : قالت : فـواللّه إنـا لعلـى ذلـك ، إذا نزل به رجل من الحبشة ينازعه في ملكه . قالت : فواللّه ما علمتُنا حَزِنَّا حزناً قطُّ كان أشدَّ علينا من حزن حزناه عند ذلك ، تخوّفاً أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي ، فيأتى رجل لا يعرف من حقِّنا ما كان النجاشيُّ يعرف منه . قـالت : وسار إليه النجاشىُّ، وبينهما عَرضُ النيل ، قالت : فقال أصـحاب رسـول اللّـه صلى الله عليه وسلم اللّه عليه وعلى آله وسلم : مَنْ رجل يخرج حـتى يحضـرَ وقيعةَ القوم ثم يأتينا بالخبر؟ قالت . فقال الزبير بن العوام . أنا. قالوا: فـأنت . وكان من أحدث القوم سِنّاً. قالت : فنفخوا له قربةً فجعلها فـي صـدره ، ثـم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقَى القوم ، ثـم انطلـق حـتى حضرهم . قالت : فدعونا اللّهَ تعالى للنجاشىِّ بالظهور على عدوِّه ، والتمكيـن له في بلاده .

قالت : فواللّه إنا لعلَى ذلك متوقعـون لمـا هـو كـائن ، إذ طلـع الزبيـرُ وهـو يسعَى، فلمع بثوبه وهو يقول : ألا أبشروا، فقـد ظفـر النجاشـىُّ، وأهلـك اللّـهُ عدوَّه ، ومكَّن له في بلاده . قالت : فواللّه ما علمتنـا فَرِحنـا فرحـةً قـط مثلَهـا قالت : ورجع النجاشيُّ ، وقد أهلك اللّه عدوَّه ، ومكن له فـي بلاده ، واسـتوثق عليه أمرُ الحبشة فكنا عنده في خير مَنْزِل ، حتى قَدِمنا على رسول اللّه صـلى الله عليه وسلم وهو بمكة.

قصة تملك النجاشي على الحبشة

قتل أبي النجاشي وتملك عمه : قال ابن إسحاق : قال الزهري . فحدثت عروة بن الزبير حديث أبى بكر بن عبد الرحمن ، عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل تدري ما قوله : ما أخذ اللّه مني الرِّشْوَة حين رد علىَّ ملكي ، فاخذ الرِّشوة فيه ، وما أطاع الناس فيَّ فأطيع الناس فيه ؟ قال : قلت : لا، قال : فإن عائشة أمّ المؤمنين حدثتني أن أباه كان ملك قومه ، ولم يكن له ولد إلا النجاشي ، وكان للنجاشى عم ، له من صلبه اثنا عشر رجلا، وكانوا أهل بيت مملكة الحبشة، فقالت الحبشةُ بينها: لو أنا قتلنا أبا النجاشي وملكنا أخاه فإنه لا ولد له غير هذا الغلام ، وإن لأخيه من صلبه اثني عشر رجلا، فتوارثوا ملكه من بعده ، بقيت الحبشةُ بعدَه دهراً، فَغَدَوْا على أبي النجاشي فقتلوه ، وملّكوا أخاه ، فمكثوا على ذلك حينا.

الحبشة تبيع النجاشي : ونشأ النجاشى مع عمه ، وكان لبيبا حازما من الرجال ، فغلب على أمر عمه ، ونزل منه بكل منزِلة، فلما رأت الحبشةُ مكانَه منه قالت بينها: واللّه لقد غلب هذا الفتى على أمر عمه ، وإنا لنتخوف أن يملِّكه علينا، وإن ملّكه علينا ليقتلنا أجمعين ، لقد عرف أنا نحن قتلنا أباه . فمشَوْا إلى عمه فقالوا: إما أن تقتل هذا الفتى، وإما أن تخرجه من بين أظهرنا، فإنا قد خِفناه على أنفسنا؛ قال : ويلكم ! قتلت أباه بالأمس ، وأقتله اليوم ! بل أخرجه من بلادكم . قالت : فخرجوا به إلى السوق ، فباعوه من رجل من التجار بست مئة درهم؛ فقذفه في سفينة فانطلق به ، حتى إذا كان العشىّ من ذلك اليوم ، هاجت سحابةٌ من سحائبِ الخريف فخرج عمه يستمطر تحتها، فأصابته صاعقة فقتلته . قالت : ففزعت الحبشة إلى ولده ، فإذا

هو مُحمَّق ، ليس فى ولـده خيـر، فمـرج علـى الحبشـة أمرُهـم[146] . **تولية النجاشي الملك :** فلما ضاق عليهم ما هم فيه من ذلك ، قال بعضهم لبعـض : تَعلَّموا واللّه أن مَلِكَكم الذي لا يقيم أمرَكم غيرُه للذي بعتم غَدوةً، فـإن كـان لكم بأمر الحبشـة حاجـة فـأدركوه الآن قـالت : فخرجـوا فـي طلبـه ، وطلـب الرجل الذي باعوه منه حتى أدركوه ، فأخذوه منه؛ ثم جـاءوا بـه فعقـدوا عليـه التاج ، وأقعدوه على سرير الملك ، فملّكوه .

حديث التاجر الذي اشتراه : فجـاءهم التـاجر الـذي كـانوا بـاعوه منـه ، فقال : إما أن تعطوني مالي ، وإما أن أكلمه فى ذلك ؟ قالوا: لا نعطيك شـيئا، قال : إذن واللّه أكلمه؛ قالوا: فدونَك وإياه . قالت : فجاءه فجلس بيـن يـديه ، فقال : أيها الملك ، ابتعتُ غلاما من قوم بالسوق بست مئـة درهـم ، فأسـلموا إليَّ غلامى وأخذوا دراهمى، حتى إذا سرت بغلامى أدركونى، فأخـذوا غلامـي ، ومنعونى دراهمى . قالت : فقال لهم النجاشي : لتُعْطُنَّـه دراهمـه ، أو ليضـعن غلامُه يدَه في يده ، فليذهبن به حيث شاء؛ قـالوا: بـل نعطيـه دراهمـه قـالت : فلذلك يقول : ما أخذ اللّه منى رِشوة حين ردَّ علىّ ملكي ، فاخذ الرِّشوةَ فيه ، وما أطاع الناس فيَّ فأطيع الناس فيه . قـالت : وكـان ذلـك أول مـا خُـبر مـن صلابته في دينه ، وعدله في حكمه .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بـن رومـان عـن عـروة بـن الزبيـر، عـن عائشة، قالت : لما مات النجاشى، كان يتحدث أنه لا يزال يُرَى على قبره نور.

---

[146] مرج الأمر: اختلط.

إسلام النجاشي والصلاة عليه وخروج الحبشة عليه

قال ابن إسحاق : وحدثني جعفر بن محمد، عن أبيه ، قال : اجتمعت الحبشةُ فقالوا للنجاشى : إنك قد فارقت دينَنا، وخرجوا عليه . فأرسل إلى جعفر وأصحابه ، فهيأ لهم سُفناً، وقال : اركبوا فيها وكونوا كما أنتم ، فإذا هُزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم ، وإن ظفرت فاثبتوا ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه : هو يشهد أن لا إله إلا اللّه ، وأن محمداً عبده ورسوله ، ويشهد أن عيسى ابن مريم عبدُه ورسولُه وروحُه ، وكلمته ألقاها إلى مريم؛ ثم جعله في قبائه عند المنكب الأيمن ، وخرج إلى الحبشة، وصفّوا له؛ فقال : يا معشر الحبشة، ألست أحقَّ الناس بكم ؟ قالوا. بلى؛ قال : فكيف رأيتم سيرتي فيكم ؟ قالوا. خير سيرة؛ قال : فما لكم ؟ قالوا: فارقت دينَنا، وزعمت أن عيسى عبدٌ ؛ قال : فما تقولون أنتم في عيسى؟ قالوا: نقول هو ابن اللّه ؛ فقال النجاشي، ووضع يده على صدره على قبائه : هو يشهد أن عيسى ابن مريم ، لم يزد على هذا شيئاً، وإنما يعني ما كتب ، فرضوا وانصرفوا[147]. فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فلما مات النجاشي صلى الله عليه وسلم عليه ، واستغفر له[148] .

---

147 فيه من الفقه أنه لا ينبغي للمؤمن أن يكذب كذباً صراحاً، ولا أن يعطي بلسانه الكفر، وإن اكره ما أمكنته الحيلة، وفي المعاريض مندوحة عن الكذب .

148 كان موت النجاشي في رجب من سنة تسع ، ونعاه رسول اللّه صلى الله عليه وسلم إلى الناس في اليوم الذي مات فيه ، وصلى عليه بالبقيع ، رُفع إليه سريره بأرض الحبشة حتى رآه ، وهو بالمدينة فصلى عليه ، وتكلم المنافقون ، فقالوا: أيصلى على هذا العلج ؟! فأنزل الله تعالى: { وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ} [آل عمران: 199] ومن رواية يونس عن ابن إسحاق أن أبا نيزر مولى علي بن أبي طالب ، كان ابناً للنجاشي نفسه ، وأن عليا وجده عند تاجر بمكة، فاشتراه منه ، وأعتقه مكافأة لما صنع أبوه مع المسلمين .

إسلام عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه

قال ابن إسحاق : ولما قَدم عمرو بـنُ العـاص وعبـدُاللّه بـن أبـى ربيعـة على قريش ، ولم يدركوا ما طلبوا من أصـحاب رسـول اللّـه صـلى اللـه عليـه وسلم ، ورَدَّهما النجاشي بما يكرهون ، وأسلم عُمر بن الخطـاب ، وكـان رجلاً ذا شكيمة لا يُرام ما وراء ظهره ، امتنع به أصحابُ رسول اللّه صلى الله عليــه وسلم وبحمزة حتى عازُّوا[149] قريشاً، وكان عبداللّه بن مسـعود يقـول : مـا كنـا نقدر على أن نصلىَ عند الكعبة، حتى أسلم عمرُ، فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة، وصلينا معه ، وإن كان إسلام عمر بعد خروج مـن خـرج مـن أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة .

قال البكائي : قال : حدثني مِسْعر بن كِدَام ، عن سعد بـن إبراهيـم ، قـال : قال عبداللّه بن مسعود: إن إسلام عمر كـان فتحـاً، وإن هجرتـه كـانت نصـراً، وإن إمارته كانت رحمة، ولقد كنا ما نُصلي عند الكعبة حتى أسـلم عمـرُ، فلمـا أسلم قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة، وصلينا معه .

حديث أم عبـدالله بنـت أبـي حَثمَـة عـن إسـلام عمـر: قـال ابـن إسحاق : حدثني عبد الرحمن بـن الحـارث بـن عبـداللّه بـن عبـاس ابـن أبـي ربيعة، عن عبد العزيز بن عبداللّه بن عامر بن ربيعة، عن أمِّه أم عبـداللّه بنـت أبى حَثْمَة، قالت :

---

[149] عازوا: غلبوا.

واللّه إنا لنترحل إلى أرض الحبشة، وقد ذهب عامر في بعـض حاجاتنـا، إذ أقبل عمر بن الخطاب حتى وقَف علىَّ وهو على شـركه - قـالت : وكنـا نلقـى منه البلاء أذًى لنا وشدةً علينـا - قـالت : فقـال : إنـه للانطلاق يـا أم عبـداللّه ، قالت : فقلت : نعم واللّه ، لنخرجن في أرض اللّه ، آذيتمونا وقهرتمونـا، حـتى يجعل اللّه مخرجا. قالت : فقال : صحبكم اللّه ، ورأيت له رقةً لم أكـن أراهـا، ثم انصرف وقد أحزنه - فيما أرى - خروجُنا. قالت : فجاء عامر بحـاجته تلـك ، فقلت له : يا أبا عبداللّه ، لو رأيتَ عُمر آنفا ورقته وحزنَه علينا. قال : أطمعتِ في إسلامه ؟

قـالت : قلـت : نعـم ؛ قـال : فلا يسـلم الـذي رأيـت حـتى يسـلم حمـار الخطاب.

قالت : يأساً منه ، لما كان يرى من غلظته وقسوته عن الإسلام .

سبب إسلام عمر: قال ابن إسحاق : وكان إسلام عمر فيمـا بلغنـى أن أخته فاطمة بنت الخطاب وكانت عند سعيد بن زَيْـد بـن عَمـرو بـن نُفَيـل ، وكانت قد أسلمت وأسلم بَعْلُها سعيد بن زيد، وهما مستخفيان بإسلامهما مـن عمر، وكان نُعَيم بن عبداللّه النحام من مكة، رجل من قومه ، من بنى عَدِي بن كعب قد أسلم ، وكان أيضاً يستخفى بإسلامه فَرَقا من قومه ، وكان خَبَّابُ بـن الأرَت[150] يختلف إلى فاطمة

---

[150] وخباب تميمي بالنسب ، كما كان خزاعيا بالولاء لأم أنمار بنت سباع الخزاعي ، وكان قد وقع عليه سباء، فاشترته وأعتقته ، فولاؤه لها، وكان أبوها حليفاً لعـوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة، فهو زهري بالحلف ، وهـو ابـن الأرت بـن جندلة ابن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم وكان قيْنا يعمل السيوف في الجاهلية، وقد قيل : إن أمه كـانت أم سـباع الخزاعيـة، ولـم يلحقـه سباء، ولكنه انتمى إلى حلفاء أمه بنى زهـرة، يكنـى : أبـا عبـد اللّـه ، وقيـل : أبـا يحيى،. وقيل أبا محمد، مات بالكوفة سنة تسـع وثلاثيـن بعـد مـا شـهد مـع علـي صفين والنهروان ، وقيل : بل مات سنة سبع وثلاثين . ذكر أن عمر بـن الخطـاب سأله عما لقي في ذات اللّه ، فكشـف ظهـره ، فقـال عمـر: مـا رأيـت كـاليوم ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لقد أوقـدت لـي نـار، فمـا أطفأهـا إلا شـحمي . انظـر الروض الأنف بتحقيقنا جـ 2 ص 98.

بنت الخطاب يُقرئها القران ، فخرج عمر يوما متوشحا سيفه يريد رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ورهطا من أصحابه قد ذُكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا، وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة بن عبد المطلب ، وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق ، وعلى بن أبى طالب ، في رجال من المسلمين رضى اللّه عنهم ، ممن كان أقام من رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بمكة، ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة .

فلقيه نُعَيم بن عبداللّه ، فقال له : أين تريد يا عمر؟ فقال : أريد محمدا هذا الصابئ ، والذي فِرّق أمرَ قريش، وسفه أحلامها، وعاب دينها، وسب آلهتها، فأقتله ؛ فقال له نعيم : واللّه لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر، أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرَهم ؟ قال : وأي أهل بيتى؟ قال : خَتْنك وابن عمك سعيد بن زيد بن عَمرو، وأختك فاطمة بنت الخطاب : فقد واللّه أسلما، وتابعا محمداً على دينه ، فعليك بهما.

قال : فرجع عمر عامداً إلى أخته وختنه ، وعندهما خبابُ بن الأرَتِّ معه صحيفة، فيها: " طه " يُقرئهما إياها، فلما سمعوا حس عمر، تغيب خَبَّاب في مخدع لهم ، أو في بعض البيت ، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فَخِذِها، وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خَبَّاب عليهما، فلما دخل قال : ما هذه الهَيْنَمَة[151] التي سمعت ؟ قالا له : ما سمعتَ شيئا، قال : بلى واللّه لقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه ، وبطش بِخَتْنه سعيد بن زيد، فقامت إليه أخته فاطمة

[151] الهينمة: كلام لا يفهم ، واسم الفاعل منه مهينم ، كأنه تصغبر، وليس بتصغير.

بنت الخطاب لتكفه عن زوجِها، فضربها فشجها، فلما فعل ذلك قـالت لـه أخته وخَتْنه : نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله ، فاصنع ما بدا لـك . فلمـا رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع ، فارعوى، وقال لأخته : أعطينى هـذه الصحيفة التي سمعتكم تقرءون آنفا أنظر ما هذا الـذي جـاء بـه محمـد، وكـان عمر كاتبا، فلما قال ذلك ، قالت له أخته : إنا نخشاك عليهـا، قـال : لا تخـافى، وحلف لها بآلهته ليردَّنَّها إذا قرأها إليها، فلما قال ذلك ، طمعـت فـي إسـلامه ، فقالت له : يا أخى، إنك نجـس ، علـى شـركك ، وإنـه لا يمسـها إلا الطـاهرُ[152]، فقام عمر فاغتسل ، فأعطته الصحيفةَ، وفيها: " طه " فقرأها، فلما قـرأ منهـا صدراً، قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه ! فلما سمع ذلك خبـاب خـرج إليـه ، فقال له : يا عمر، واللّه إنى لأرجو أن يكون اللّه قد خصَّك بـدعوةِ نـبيه ، فـإني سمعته أمس وهو يقول : " اللهم أيد الإِسلام بأبى الحكم بن هشـام ، أو بعمـر بن الخطاب "، فاللّه اللّه يا عمر. فقال له عند ذلك عمر: فدلنى يا خبَّاب علـي محمد حتى آتيَه فأسلم ، فقال له خَبَّاب : هو في بيت عند الصفا، معه فيه نفـر من أصحابه .

---

[152] قال السهيلي عند الكلام على تطهير عمر ليمس القرآن ، وقول أخته له :{ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ }[الواقعة: 79]: والمطهرون في هـذه الآيـة هـم الملائكـة، وهو قول مالك في الموطأ، واحتج بالآية الأخرى التي فـي سـورة عبـس ولكنهـم وإن كانوا الملائكة، ففي وصـفهم بالطهـارة مقرونـا بـذكر المـس مـا يقتضـي ألا يمسه إلا طاهر اقتداء بالملائكة المطهرين ، فقـد تعلـق الحكـم بصـفة التطهيـر، ولكنه حكم مندوب إليه ، وليس محمولا على الفرض ، وإن كان الفرض فيه أبيـن منه فـي الايـة، لأنـه جـاء بلفـظ النهـي عـن مسـه علـى غيـر طهـارة. لأنـه قـال المطهرون ، وفرق ما بيـن المتطهـر والمطهـر: أن المتطهـر مـن فعـل السـور، وأدخل نفسه كالمتفقه من يدخل نفسه فـي الفقـه ، وكـذلك المتفعـل فـي أكـثر الكلام . فالآدميون متطهرون إذا تطهروا، والملائكة مطهـرون خلقـة، والآدميـات إذا تطهرن : متطهرات - راجع الروض من تحقيقنا جـ 2 ص 98-99.

فأخذ عمر سيفه فتوشحه ، ثم عمد إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فضرب عليهم الباب ، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ، فنظر من خَلَلِ الباب فرآه متوشّحا السيف ، فرجع إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وهو فَزِعٌ ، فقال : يا رسول اللّه ، هذا عمر بن الخطاب متوشّحاً السيف ، فقال حمزة بن عبد المطلب : فأذنْ له ، فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له ، وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه ، فقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : ائذنْ له ، فأذن له الرجل ، ونهض إليه رسول اللّه صلى الله عليه وسلم حتى لقيه في الحجرة، فأخذ حُجْزَته[153] ، أو بمجمع ردائه ، ثم جَبَذه به جَبْذةً شديدة، وقال : ما جاء بك يا بن الخطاب ؟ فواللّه ما أرى أن تنتهي حتى يُنزلَ اللّه بك قارعة، فقال عمر: يا رسول اللّه ، جئتك لأومن باللّه وبرسوله ، وبما جاء من عند اللّه؛ قال : فكبَّر رسول اللّه صلى الله عليه وسلم تكبيرةً عَرَف أهلُ البيت من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم أن عمر قد أسلم[154] .

فتفرق أصحابُ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم من مكانهم ، وقد عَزُّوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة، وعرفوا أنهما سَيَمْنعان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، وينتصفون بهما من عدوِّهم . فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر بن الخطاب حين أسلم .

---

[153] موضع شد الإزار.

[154] ذكر البزار في إسلام عمر أنه قال : فلما أخذت الصحيفة، فإذا فيها: بسم اللّه الرحمن الرحيم ، فجعلت أفكر: من أي شيء اشتق ، ثم قرأت فيها: { سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}.[الحديد: 1] وجعلت أقرأ وأفكر حتى بلغت : { آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} [الحديد:7] فقلت : أشهد أن لا إله إلا اللّه ، وأن محمداً رسول الله . وذلك إن كانت وردت رواية أن ما في الصحيفة من سورة الحديد.

ما رواه عطاء ومجاهد عن إسلام عمر: قال ابن إسحاق :

وحدثني عبداللّه بن أبى نَجِيح المكي عن أصحابه : عطاء، ومجاهد، أو عمن روى ذلك : أن إسلام عمر فيما تحدثوا به عنه ، أنه كان يقول : كنت للإِسلام مباعداً، وكنت صاحب خمر في الجاهلية، أحبها وأسَر بها، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجالٌ من قريش بالحَزْوَرَة، عند دُورِ آل عمر بن عبد بن عمران المخزومى. قال : فخرجت ليلة أريد جلسائى أولئك في مجلسهم ذلك ، قال : فجئتهم فلم أجد فيه منهم أحداً فقلت : لو أني جئت فلانا الخمار، وكان بمكة يبيع الخمر، لعلى أجد عنده خمراً فأشرب منها. قال : فخرجت فجئته فلم أجده . قال : فقلت : فلو أنى جئت الكعبةَ فطفت بها سبعا أو سبعين قال : فجئت المسجد أريد أن أطوف بالكعبة، فإذا رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قائم يصلي ، وكان إذا صلىاستقبل الشام وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، وكان مصلاه بين الركنين : الركن الأسود، والركن اليماني . قال : فقلت حين أتيته : واللّه لو أنى استمعت لمحمد الليلة حتى أسمعَ ما يقول فقلت : لئن دنوت منه أستمع منه لأرَوِّعنَّه؛ فجئت من قِبلِ الحِجْر، فدخلت تحت ثيابها، فجعلت أمشى رُوَيْدا ورسول اللّه صلى الله عليه وسلم قائم يصلى يقرأ القرآن ، حتى قمت في قبلته مُسْتقبلَه ، ما بيني وبينه إلا ثياب الكعبة . قال : فلما سمعت القرآن رقَّ له قلبي فبكيت ودخلني الإِسلام فلم أزل قائما في مكاني ذلك ، حتى قضى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم صلاته ، ثم انصرف ، وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبى حُسَين ، وكانت طريقَه ، حتى يَجزع[155] المسْعَى، ثم يسلك بين دار عباس بن عبد المطلب ، وبين دار ابن أزهر بن عبد عَوْف الزهري ، ثم على دار الأخنس بن شَرِيق ، حتى يدخل بيته . وكان مسكنُه صلى الله عليه وسلم في

---

[155] يجزع : يقطع .

الدار الرَّقْطاء[156]، التي كانت بيدي معاوية بن أبي سفيان . قال عمر رضي اللّه عنه : فتبعته حتى إذا دخل بين دار عباس ، ودار ابن أزهـر، أدركتُـه ، فلمـا سمع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم حسي عَرَفنى، فظن رسول اللّه صـلى الله عليه وسلم أني إنما تبعته لأوذيه فنهمنـى[157] ثـم قـال : مـا جـاء بـك يـا بـن الخطاب هذه الساعة؟ قال : قلت : لأومن باللّه وبرسوله ، وبمـا جـاء بـه مـن عنداللّه قال : فحمد اللّه رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، ثم قال : قد هداك اللّه يا عمر، ثم مسح صدري ، ودعا لي بالثبات ، ثم انصرفتُ عن رسـول اللّـه صلى الله عليه وسلم، ودخل رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بيته .

قال ابن إسحاق ، واللّه أعلم أي ذلك كان .

ثبات عمر فـي إسـلامه : قـال ابـن إسـحاق : وحـدثني نـافع مـولى عبداللّه بن عمر، عن ابن عمر قال : لمـا أسـلم أبـى: عمـر قـال : أي قريـش أنقل للحديث ؟ فقيل له : جميل بن مَعْمر[158] الجُمحي . قال :

---

156 الرقطاء: الملونة.

157 نهمني : زجرني ، والنهيم : زجر الأسد، والنهـامى: الحـداد، والنهـام : طائر. وهي كلمة معناها: الأمر بالتنحي ، فليس يعمل فيها ما قبلها، كمـا يعمل إذا قلت : اجلس هكذا، أي : على هذه الحال ، وإن كان لا بـد مـن عامل فيها إذا جعلتها للأمر، لأنها كاف التشبيه دخلت على ذا، وها: تنـبيه ، فيقدر العامل إذاً مضمراً، كأنك قلت : ارجعوا
هكذا، وتأخروا هكذا، واستغنى بقولك : " هكذا " عـن الفعـل ، كمـا اسـتغنى برويـداً عن ارفق .

158 جميل هذا هو الذي كان يقال له : ذو القلـبين ، وفيـه نزلـت فـي أحـد الأقوال{ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ} [الأحزاب: 4] وفيـه قيل :
وكيف ثوائى بالمدينة بعدما قضى وطراً منها جميل بن معمر.
وهو البيت الذي تغنى به عبد الرحمن بن عوف في منزله ، واستأذن عمـر فسـمعه ، وهو يتغنى، وينشد بالركبانية، وهو غناء يحدي به الركاب ، فلما دخل عمر قال لـه عبد الرحمن : إنا إذا خلونا، قلنا ما يقول الناس في بيـوتهم : وقلـب المـبرد هـذا الحديث ، وجعل المنشد عمـر، والمسـتأذن عبـد الرحمـن ، ورواه الزبيـر. انظـر الروض الأنف جـ 2 ص 101 من تحقيقنا.

فغدا عليه . قال عبداللّه بن عمر: فغدوت أتبع أثره ، وأنظر ما يفعل ، وأنا غلام أعقل كل ما رأيت ، حتى جاءه ، فقال له : أعلمت يا جميل أنى قد أسلمت ودخلت في دين محمد؟ قال : فواللّه ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر، واتبعت أبي ، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش ، وهم في أنديتهم حول الكعبة، ألا إن عمر بن الخطاب قد صَبا. قال : يقول عمر من خلفه : كَذَب ، ولكنى قد أسلمتُ ، وشهدتُ أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله . وثاروا إليه ، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رءوسهم . قال: وطلح[159] ، فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول : افعلوا ما بدا لكم ، فأحلف باللّه أن لو قد كنا ثلثمائة رجل لقد تركناها لكم ، أو تركتموها لنا، قال : فبينما هم عليِ ذلك ، إذا أقبل شيخ من قريش ، عليه حُلة حِبْرة[160]، وقميص مُوَشى، حتى وقف عليهم ، فقال : ما شأنكم ؟ قالوا: صبأ عمر؛ فقال : فمه ، رجل اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون ؟ أترون بني عدي بن كعب يُسلمون لكم صاحبكم هكذا! خلّوا عن الرجل . قال : فواللّه لكأنما كانوا ثوبا كُشط عنه . قال : فقلت لأبى بعد أن هاجر إلى المدينة: يا أبت ، من الرجل : الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت ، وهم يقاتلونك ؟ فقال : ذاك ، أي بُني ، العاص بن وائل السهمي .

---

159 طلح : تعب وأعيا

160 الحبرة: نوع من برود اليمن .

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم ، أنه قال : يا أبت ، من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت ، وهم يقاتلونك جزاه اللّه خيرا. قال : يا ابني ذلك ، العاص بن وائل ، لا جزاه اللّه خيراً.

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبدُ الرحمن بن الحارث عن بعض آل عمر، أو بعض أهله ، قال : قال عمر: لما أسلمت تلك الليلة، تذكرتُ أيَّ أهل مكة أشد لرسول اللّه صلى الله عليه وسلم عداوة حتى آتيه فأخبره أني قد أسلمت ؟ قال قلت : أبو جهل – وكان عمر لَحَنْتَمة بنت هشام بن المغيرة – قال : فأقبلت حين أصبحت حتى ضربت عليه بابه . قال : فخرج إلىَّ أبو جهل ، فقال : مرحباً وأهلا بابن أختى، ما جاء بك ؟ قلت جئت لأخبرك أنى قد آمنت باللّه وبرسوله ومحمد، وصدَّقت بما جاء به ؟ قال : فضرب الباب في وجهي وقال : قبحك اللّه ، وقبح ما جئتَ به .

خبر الصحيفة

ائتمار قريش بالرسول : قال ابن إسـحاق : فلمـا رأت قريـش أن أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلداً أصابوا به أمناً وقـراراً، وأن النجاشىَّ قد منع من لجأ إليه منهم ، وأن عُمر قد أسلم ، فكان هو وحمزةُ بن عبد المطلـب مـع رسـول اللّـه صـلى اللـه عليـه وسـلم وأصـحابه ، وجعل الإسلام يفشُو في القبائل ، اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى المطّلب ، علـى أن لا يُنكحـوا إليهـم ولا يُنكحـوهم ، ولا يـبيعوهم شـيئا، ولا يبتاعوا منهم ؛ فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة، ثم تعاهدوا وتواثقوا علـى ذلك ، ثم علّقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدا على أنفسـهم ، وكـان كـاتب الصحيفة منصور بن عِكْرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بـن قصي .

قال ابن هشام : ويقال : النضر بـن الحـارث . فـدعا عليـه رسـول اللّـه صلى الله عليه وسلم، فَشُلَّ بعضُ أصابعه .

من انحاز إلى أبي طالب ومن خرج عنه : قال ابن إسحاق ؛ فلمـا فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلـى أبـي طـالب ابـن عبـد المطلب ، فدخلوا معه في شِعْبه واجتمعوا إليه ، وخرج من

بني هاشم أبو لهب ، عبد العزى بن عبد المطلب ، إلى قريش ، فظاهرهم .

تهكم أبي لهب بالرسول وما نزل فيه من القران : قال ابن إسحاق : وحدثنى حُسَيْن بنُ عبداللّه : أن أبا لهب لقي هندَ بنت عُتبة بن ربيعة، حين فارق قومه ، وظاهر عليهم قريشاً فقال : يا بنت عتبة؛ هل نصرت اللات والعزى، وفارقت من فارقهما وظاهر عليهما؟ قالت : نعم : فجزاك اللّه خيراً يا أبا عتبة .

قال ابن إسحاق : وحُدثت أنه كان يقول في بعض ما يقول : يعدنى محمد أشياءً لا أراها، يزعم أنها كائنة بعدَ الموت ، فماذا وضع في يديَّ بعد ذلك ، ثم ينفخ في يديه ويقول : تبّاً لكما ما أرى فيكما شيئاً مما يقول محمد. فأنزل اللّه تعالى فيه : **{ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ }**[المسد:1][161].

---

[161] ذكر فيه قول أبي لهب ليديه : تبّاً لكما، لا أرى فيكما، شيئاً مما يقول محمد، فأنزل اللّه تعالى : **{ تَبَّتْ }** هذا الذي ذكره ابن إسحاق يشبه أن يكون سبباً لذكر اللّه سبحانه يديه ، حيث يقول : **{ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ }** وأما قوله : **{ تَبَّتْ }** فتفسيره ما جاء في الصحيح من رواية مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال لما أنزل الله تعالى : **{ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}** [الشعراء: 214] خرج رسول اللّه صلى الله عليه وسلم حتى أتى الصفا، فصعد عليه ، فهتف : يا صباحاه ، فلما اجتمعوا إليه ، قال : أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل ، أكنتم مصدقيَّ ؟! قالوا: ما جربنا عنك كذبا قال : فإني نذير لكم بين يدي ، عذاب شديد. فقال أبو لهب : تبا لك ألهذا جمعتنا؟! فأنزل اللّه تعالى : **{ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ }** و" قد تب ". في بعض القراءات غير السبعية .

وقال السهيلى: فسرت أنه خبر من اللّه تعالى، وأن الكلام ليس على جهة الدعاء، كما قال تعالى :**{ قَاتَلَهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ}**[التوبة: 30] أي : إنهم أهل أن يقال لهم هذا،

فتبت يدا أبى لهب ، ليس من باب : قاتلهم اللّه ، ولكنه خبر محض بأن قد خسر أهله وماله ، واليدان : آلة الكسب ، وأهله وماله مما كسب فقوله : **{ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ }** تفسيره : قوله :**{ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ}** [المسد:2] وولد الرجل من كسبه ، كما جاء في الحديث ، أي : خسرت يداه هذا الذي كسبت ، وقوله :**{ وَتَبَّ }** تفسيره :**{ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ}**[المسد: 3]أي : قد خسر نفسه بدخوله النار، وقول أبي لهب : تبا لكما، ما أرى فيكما شيئاً، يعني : يديه : سبب لنزول **{ تَبَّتْ يَدَا}** كما تقدم .

قال ابن هشام : تبت : خسرت . والتباب : الخسران . قال حـبيب بـن خُدْرة الخارجي : أحد بنى هلال بن عامر بن صعصعة :

يا طيب إنا في معشر ذهبت مَسْعاتُهم فى التَّبارِ والتَّبَبِ

وهذا البيت في قصيدة له .

شعر أبي طالب فـي تظـاهر قريـش : قـال ابـن إسـحاق : فلمـا اجتمعت على ذلك قريش، وصنعوا فيه الذي صنعوا، قال أبو طالب :

ألا أبلغا عنى عَلَى ذاتِ بيننا لُؤَيا وخُصَّا من لؤي بني كعبِ[162]
ألم تعلموا أنا وجدنا محمـداً نبيا كموسى خُطَّ في أول الكتبِ
وأن عليه في العبادِ محبــةً ولا خيرَ ممن خصه اللّهُ بالحبِّ[163]
وأن الذي ألصقتمُ من كتابِكـم لَكُم كائنٌ نحساً كراغيةِ السَّقْبِ[164]
أفيقوا أفيقوا قبلَ أن يُحْفَرَ الثرى ويصبحَ من لم يَجْنِ ذنباً كذي الذنْبِ
ولا تتبعوا أمرَ الوُشاةِ وتقطعوا أواصرَنا بعدَ المودةِ والقُربِ
وتستجلبوا حرباً عواناً وربما أمرّ على من ذاقه جَلَبُ الحربِ

---

[162] قال قاسم بن ثابت : " ذات بيننا " وما كـان نحـوه . صـفة لمحـذوف مؤنث ، كأنه يريد الحال التي هي ذات بينهم كما قـال اللـه سـبحانه : **{** وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ**}** [الأنفال: 1] فكذلك إذا قلت : " ذات يده ". يريد أمواله ، أو مكتسباته ، كما قال عليه السلام :
" . . وأرعاه على زوج في ذات يده ،. في حديثه عن نساء قريش .

[163] قوله : " ممن ". من ، متعلقة بمحذوف ، كأنه قال : لا خير أخيـر ممـن خصـه الله، وخير وأخير: لفظان من جنس واحد، فحسن الحذف استثقالا لتكرار اللفظ .

[164] كراغية السقب : يريد: ولد الناقة التي عقرها قدار فرغا لدها، فصاح برغائه كل شيء له صوت ، فهلكت ثمود عند ذلك والمراد بولد الناقـة هنـا ولـد ناقـة صـالح عليه السلام .

فلسنا وربِّ البيتِ أسلمُ أحمـداً لعزَّاءَ مِن عضِّ الزمان ولاكَرْب[165]
ولمَّا تَبِنْ منا ومنكم سوالــف وأيدٍ أترَّت بالقُساسيَّةِ الشهْب[166]
بمعتَركٍ ضَيْقٍ ترى كِسَرَ القَنَا به والنسورَالطُّخْمَ يعكفن كالشَّرْبِ[167]
كأن مجالَ الخيلِ في حَجَراتِـه ومَعْمَعة الأبطالِ معركة الحربِ[168]
أليس أبونا هاشم شــدَّ أزرَهُ وأوصى بنيه بالطِّعان وبالضربِ
ولسنا نَمَلُّ الحربَ حتى تَمَلَّنـا ولا نشتكي ما قد ينوبُ من النَّكْبِ
ولكننا أهلُ الحفائِظ والنُّهَـى إذا طار أرواحُ الكُماةِ من الرعْبِ

فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا، حتى جُهِدوا لا يصل إليهم شىء، إلا سرّاً مستخفياً به من أراد صلتهم من قريش.

أبو جهل يحكم الحصار على المسلمين : وقد كان أبو جهل ابن هشام - فيما يذكرون - لقي حكيم بن حزام بن خُوَيْلد بن أسد، معه غلام يحمل قمحاً يريد به عمته خديجة بنت خوَيلد، وهي عند رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، ومعه في الشِّعْب ، فتعلق به وقال : أتذهب بالطعام إلى بني هاشم ؟ واللّه لا تبرحُ أنت وطعامُك حتى أفضحك بمكة .

فجاءه أبو البَخْتري بن هشام بن الحارث بن أسد، فقال : ما لك وله ؟ فقال : يحمل الطعام إلى بني هاشم ؟ فقال أبو البَخْتري : طعام كان لعمته عنده بعثت إليه فيه أفتمنعه أن يأتيها بطعامها؟ خلِّ سبيلَ الرجل؛ فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه ، فأخذ أبو البخْتري لَحْي

---

165 العزاء : الشدة .

166 القساسية: سيوف تنسب إلى جبل يسمى قساس ، السوالف : صفحات الأعناق ، وأترت : قطعت .

167 الطخم : قيل ، هي السود الرءوس ، قاله صاحب العين ، وقال أيضاً: الطخمة سواد في مقدم الأنف . والشراب ، جماعة الشاربين .

168 الحجرات : النواحى.

بعير فضربه به فشجه ، ووطئه وطأ شديدا وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك ، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فيشمتوا بهم ، ورسولُ اللّه صلى الله عليه وسلم على ذلك يدعو قومه ليلاً ونهاراً، سرّاً وجهاراً، منادياً بأمر اللّه لا يتقى فيه أحداً من الناس .

ذكر ما لقي رسول اللّه صلى الله عليه وسلم من قومه من الأذى

ما نزل من القرآن في أبي لهب وامرأته حمالة الحطب :

فجعلت - قريش حين منعه اللّه منها، وقام عمُّه وقومه من بنى هاشم وبني المطلب دونَه وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من البطش به ، يَهْمِزونه ويستهزئون به ويخاصمونه ، وجعل القرآن ينزل في قريش بأحداثهم ، وفيمن نصب لعداوته منهم ، ومنهم من سَمى لنا، ومنهم من نزل فيه القران في عامة من ذَكر اللّه من الكفار، فكان ممن سُمي لنا من قريش ممن نزل فيه القرآن عمه أبو لهب بن عبد المطلب وامرأته أم جميل بنت حرب بن أمية[169]، حمالة الحطب وإنما سماها اللّه تعالى حمالة الحطب لأنها كانت - فيما بلغني - تحمل الشوك فتطرحه على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث تمر، فأنزل اللّه تعالى فيهما:

---

169 أم جميل بن حرب عمة معاوية، وذكر أنها كانت تحمل الشوك ، وتطرحه في طرق رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل اللّه فيها: { وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ}[المسد: 4] فلما كنى عن ذلك الشوك بالحطب ، والحطب لا يكون إلا في حبل ، فمن ثمَّ جعل الحبل في عنقها، ليقابل الجزاء الفعل.

{ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ* مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ* سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ* وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ* فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ }[المسد: 1ـ5][170].

قال ابن هشام : الجِيد: العُنق ، قال أعْشَى بني قَيْس بن ثعلبة:

يومَ تُبدي لنا قتيلةُ عن جيـ ـدٍ أسيلٍ تزينُه الأطواقُ

وهذا البيت في قصيدة لـه . وجمعـه : أجيـاد. والمسَـد: شـجر يُـدَق كمـا يُـدَق الكتان فتفتل منه حبال . قـال النابغـة الـذُّبياني ، واسـمه زِيـاد ابـن عَمـرو بـن ساوية :

مقذوفةٍ بدخيسِ النَّحْضِ بازِلُها له صريف صريفَ القَعْوِ بالمَسدِ[171]

وهذا البيت في قصيدة له ، وواحدته : مسدة .

أم جميل امرأة أبي لهب : قال ابن إسحاق : فذكر لي : أن أم جميل ، حمالة الحطب ، حين سمعت مـا نـزل فيهـا، وفـي زوجهـا مـن القرآن ، أتت رسولَ اللّه صلى الله عليه وسلم، وهو جالس في المسـجد عنـد الكعبة ومعه أبو بكر الصديق ، وفي يدها فِهْر[172] من حجارة، فلما وقفت عليهما أخذ اللّه ببصرِها عن رسولِ اللّه صلى اللـه عليـه وسـلم، فلا تـرى إلا أبـا بكـر، فقالت : يا أبا بكر: أين صاحبُك ؟ فقد بلغني أنه يهجوني ، واللّه لو

---

[170] المسد: هو من مسدت الحبل إذا أحكمت فتلـه ، إلا أنـه قـال :{ مِـنْ مَسَدٍ} ولم يقل : حبل مسد ولا ممسـود لمعنـى لطيـف ، ذكـره بعـض أهل التفسير، قال : المسد يعبر به فـي العـرف عـن حبـل الـدلو، وقـد روى أنه يصنع بها في النار ما يصنع بالدلو، ترفع بالمسد في عنقها إلـى شفير جهنم ، ثم يرمى بها إلى قعرها هكذا أبدا، وقولهم :
إن المسد هو حبل الدلو في العرف صحيح فإن لم نجده في كلام إلا كذلك .

[171] الـدخيس : اللحـم الكـثير. والنحـض : اللحـم . والبـازل : النـاب . والصـريف : الصوت ، والقعر: ما تدور فيه البكرة.

[172] الفهر: المعروف في الفهر التأنيث ، وتصغيره فهيرة؛ ووقع ههنا مذكرا.

وجدتُه لضربتُ بهذا الفِهْرِ فاه ، أما واللّه إني لشاعرة، ثم قالت :

مُذَمماً عَصَينا وأمرَه أبَينا

ودينَه قَلَيْنَا

ثم انصرفت ، فقال أبو بكر: يا رسول اللّـه أمـا تراهـا رأتـك ؟ فقـال : مـا رأتنى . ؟ لقد أخذ اللّه ببصرِها عني .

قال ابن هشام : قولَها " ودينَه قلَيْنا " عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وكانت قريش إنمـا تُسـمى رسـول اللّـه صـلى اللـه عليه وسلم مُذمما، ثم يسبونه ، فكان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يقول : " ألا تعجبون لِما صرف اللّه عنـى أذى قريـش، يسـبون مُـذمما، وأنـا محمـدٌ "[173].

إيذاء أمية بن خلف للرسول : وأمية بن خلف بن وهـب بـن حذافـة بـن جُمَح ، كان إذا رأى رسول اللّه صلى الله عليه وسـلم هَمـزه ولَهمـزه ، فـأنزل اللّه تعالى فيه : { وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ(1)الَّذِي جَمَعَ مَـالًا وَعَـدَّدَهُ(2)يَحْسَـبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ(3)كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ(4)وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ(5)نَـارُ اللَّـهِ الْمُوقَدَةُ(6)الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ(7)إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُوصَدَةٌ(8)فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ} [الهمزة: 1ـ9]

قال ابن هشام : الهُمزة : الذي يشتم الرجلَ علانية، ويُكسر عينيه

---

[173] أدخل النسوى هذا الحديث في كتاب الطلاق فـي بـاب : " مـن طلـق بكلام لا يشبه الطلاق فأنه غير لازم " وهو فقه حسن لقول النبي صلى الله عليه وسلم " ألا ترون إلى ما يدفع الله عني "؛ فجعل أذاهم مصروفا عنه؛ لما سـبوا مُـذمماً لا يشبه أن يكون اسما له ، فكذلك إذا قال لها: كلي واشربي ، وأراد بـه الطلاق لـم يلزمـه وكـان مصـروفا عنـه، لأن مثـل هـذا الكلام لا يشـبه أن يكـون عبـارة عـن الطلاق .

عليه ، ويَغْمِز به ، قال حسان بن ثابت :

همْزُتُك فاختُضِعْتَ لذلِّ نفسٍ بقافيةٍ تَأجَّجُ كالشُّوَاظِ[174]

وهذا البيت في قصيدة له ، وجمعه : همزات ، واللَّمَزَة: الذي يعيب الناس سرّاً ويُؤْذيهم .

قال رؤبة بن العجاج :

في ظلِّ عَصْرَيْ باطلى ولمزي

وهذا البيت في أرجوزة له ، وجمعه : لمزات .

إيذاء العاص الرسول صلى الله عليه وسلم وما نزل فيه من قرآن : قال ابن إسحاق : والعاص بن وائل السَّهْمي ، كان خَبَّاب بن الأرَتّ ، صاحبُ

رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، قيناً بمكة يعمل السيوف ، وكان قد باع من العاص ابن وائل سيوفاً عملها له حتى كان له مال ، فجاءه يتقاضاه فقال له يا خباب : أليس يزعم محمد صاحبكم هذا الذي أنت على دينه أن في الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب ، أو فضة، أو ثياب أو خدم ؟

قال خَباب : بلى . قال : فأنظرنى إلى يوم القيامةِ يا خَباب ، حتى أرْجِعَ إلى تلك الدار فأقضيَك هناك حقَّك ، فواللّه لا تكون أنت وأصحابك يا خباب أثر عند اللّه مني ، ولا أعظم حظّاً في ذلك ؛ فأنزل اللّه تعالى فيه : **{ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا(77)أَطَّلَعَ الْغَيْبَ } [مريم: 77،78]إلى قوله تعالى : { وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا }. [مريم: 80]**

إيذاء أبي جهل الرسول : ولقى أبو جهل بن هشام رسولَ اللّه صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - فقال له : واللّه يا محمدُ، لتتركنَّ سبَّ آلهتنا،

---

[174] التأجج : التوقد .

أو لنسبنَّ إلهك الـذي تعبـد. فـأنزل اللّـه تعـالى فيـه :{ وَلَا تَسُـبُّوا الَّـذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْـمٍ } [الأنعـام: 108] فـذكر لـي أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم كف عن سـب آلهتهـم ، وجعـل يـدعوهم إلى الله.

إيذاء النضر الرسول : والنضر بن الحارث بن علقمة بن كَلدَة ابن عبـد مناف بن عبد الدار بن قُصي ، كان إذا جلس رسول اللّه صلى الله عليه وسلم مجلسا، فدعا فيه إلى اللّه تعالى وتلا فيه القرآن وحذر قريشاً ما أصاب الأمـمَ الخاليـة، خَلَفـه فـي مجلسـه إذا قـام ، فحـدثهم عـن رُسـتم السـنديد، وعـن أسفنديار[175]، وملوك فارس ، ثم يقول واللّه ما محمد بأحسن حديثا منـي ، ومـا أحاديثُه إلا أساطير الأولين ، اكتتبهـا كمـا اكتتبتهـا. فـأنزل اللّـه فيـه:{ وَقَـالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا(5) قُلْ أَنزَلَـهُ الَّـذِي يَعْلَـمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُـورًا رَحِيمًـا}.[الفرقـان: 5،6] ونـزل فيه :{ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِـينَ}.[القلـم: 15] ونـزل فيـه :{ وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ(7)يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْـهِ ثُـمَّ يُصِـرُّ مُسْـتَكْبِرًا كَـأَنْ لَـمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ }.[الجاثية: 7،8]

قال ابن هشام : الأفاك : الكذاب . وفى كتاب اللّـه تعـالى :{ أَلَا إِنَّهُـمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ* وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}[الصافات: 151،152]

---

[175] حديث النضـرة أنـه تعلـم أخبـار رسـتم واسـفنديار، وكـان يقـول : اكتتبتها كما اكتتبهـا محمـد، كـذا وقـع فـي الأصـول الـتي معنـا، وفـي الرواية الأخرى عن أبي الوليد: اكتتبتها كما اكتتبهـا، ورسـتم السـنديد بالفارسية معناه : ذو الضياء، والياء في السنديد والألف سواء، ومنه " أمِخشاذ " ومنه " جم شاذ "، وهـو مـن أول ملـوك الأرض ، وهـو الـذي قتلـه الضـحاك " بيوراسـب " ثـم عـاش إلـى مـدة " أفريـدون وأبيـه جـم " وبيـن " أفريدون " وبين " جم " تسعة آباء، وقال له حين قتله : ما قتلتك بجم ، وما أنـت له بكفء ، ولكن قتلتك بثور كان في داره.

وقال رؤبة :

ما لامرئ أفَّك قولاً إفْكا

وهذا البيت في أرجوزة له .

قال ابن إسحاق : وجلس رسول اللّـه صـلى اللـه عليـه وسـلم يومـاً - فيما بلغني

مع الوليد بن المغيرة في المسجد، فجاء النضْر بـن الحـارث حـتى جلـس معهم في المجلس ، وفى المجلس غيرُ واحد من رجال قريش، فتكلم رسـول اللّه صلى الله عليه وسلم فعرضَ له النضرُ بنُ الحـارث ، فكلمـه رسـول اللّـه صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليه وعليهم : **{** إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ(98)لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَـا وَرَدُوهَـا وَكُـلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ(99)لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ**}** [الأنبياء: 98ـ100]

قال ابن هشام : حصب جهنم : كل مـا أوقـدت بـه . قـال ، أبـو ذُؤيـب الهذلى، واسمه خوَيْلد بن خالد:

فأطفئ ولا توقد ولاتكُ مُحصباً لنارِ العداةِ أن تطيرَ شداتها

وهذا البيت في أبيات له . ويروى " ولاتك محضئاً ". قال الشاعر: حضـأت لـه ناري فأبصر ضوءَها وما كان لولا حضأةُ النارِ يهتدي **ابن الزبعرى ومـا قيـل فيه : قال ابن اسحاق :** ثم قام رسول

اللّه صلى الله عليه وسـلم، وأقبـل عبـدالله بـن الزبعـرى السَّـهمي حـتى جلس ، فقال الوليد بن المغيرة لعبداللّه بن الزبعرى : والله ما قام النضـر بـن الحارث لابن عبد المطلب آنفا وما قعد، وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنـا هذه حصب جهنم[176] ؛ فقال عبداللّه بن الزبعرى : أما والله لو وجدته

---

[176] حصب جهنم : هو من باب القبض والنفض والحصب بسـكون الصـاد كـالقبض والنفض ، ومنه الحاصب في قوله سبحانه :**{** أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا**}** [الملـك: 17] ويروى : حضب جهنم بضاد معجمة في شواذ القـراءات ، وهـو مـن حضـيت النار بمنزلة حضأتها.

لخصَمته ، فسلوا محمدا: أكل ما يعبد من دون اللّه في جهنم مع من عبده ؟ فنحن نعبد الملائكة، واليهود تعبد عزيرا، والنصارى تعبد عيسى ابـن مريـم[177] عليهما السلام فعجب الوليد، ومن كان معه في المجلس من قول عبداللّه بن الزبعرى، ورأوا أنه قد احتج وخاصم : فذُكر لرسول اللّه صلى الله عليه وسـلم من قول ابن الزبعرى : فقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم "كل من أحـب أن يُعبد من دون اللّه فهو مع من عبده ، إنهـم إنمـا يعبـدون الشـياطين ، ومـن أمرتهم بعبادته ". فأنزل اللّه تعالى عليه في ذلك :{ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّـا الْحُسْنَى أُوْلَئِـكَ عَنْهَـا مُبْعَـدُونَ* لا يَسْـمَعُونَ حَسِيسَـهَا وَهُـمْ فِـي مَـا اشْـتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ} [الأنبياء: 101،102] أي عيسى ابن مريـم ، وعزيـزاً، ومـن عُبدوا من الأحبار والرهبان الذي مضوا على طاعة اللّه ، فاتخذهم من يعبـدهم من أهل الضلالة أرباباً من دون اللّه .

ونزل فيما يذكرون ، أنهم يعبدون الملائكة، وأنهـا بنـات اللّـه : { وَقَـالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَانُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ* لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُـمْ بِـأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ.[الأنبياء: 26،27]. إلى قوله :{ وَمَـنْ يَقُـلْ مِنْهُـمْ إِنِّـي إِلَـهٌ مِـنْ دُونِـهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ}.[الأنبياء: 29].

---

[177] وسبب عبادة النصارى للمسيح معروف ، وأما عبادة اليهود عزيرا، وقولهم فيه : إنه ابن الله سبحانه وتعالى عن قولهم ، وسببه فيما ذكر عبد بن حميـد الكشـي ، أن التوراة لما احترقت أيام بخت نصر، وذهب بذهابها دين اليهود، فلما تاب إليهم أمرهم وجدوا لفقدها أعظـم الكـرب ، فبينمـا عزيـر يبكـى لفقـد التـوراة، إذ مـر بامرأة جاثمة على قبر قد نشرت شعرها، فقال لها عزير: من أنت ؟ قـالت : أنـا إيليا أم القرى أبكى على ولدي ، وأنت تبكـي علـى كتابـك ، وقـالت لـه : إذا كـان غداً، فَأتِ هذا المكان ، فلما أن جاء من الغد للساعة التي وعدته ، إذا هو بإنسان خارج من الأرض في يده كهيئة القارورة، فيها نور، فقال له : افتح فاك ، فألقاهـا في جوفه ، فكتب عزير التوراة - كما أنزلها اللّـه ، ثـم قـدر علـى التـوراة بعـدما كانت دفنت أن ظهرت ، فعرضت التوراة، وما كان عزير كتـب ، فوجـدوه سـواء، فمنها قالوا: إنه ولد الله تعالى عن ذلك .

ونزل فيما ذكروا من أمر عيسى ابن مريم أنه يعبد مـن دون اللّـه ، وعَجـب الوليد ومن حضره من حجته وخصومته :{ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ}[الزخرف: 57]: أي يصدون عن أمرك بذلك من قولهم .

ثم ذكر عيسى ابن مريم فقال :{ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْـدٌ أَنْعَمْنَـا عَلَيْـهِ وَجَعَلْنَـاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ* وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُـونَ* وَإِنَّـهُ لَعِلْـمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ}:[الزخرف: 59ـ61] أي ما وضعت على يديه من الآيات من إحياء الموتى، وإبراء الأسـقام ، فكفـى بـه دليلا علـى علـم السـاعة، يقـول :{ فَلَا تَمْتَـرُنَّ بِهَـا وَاتَّبِعُـونِي هَـذَا صِـرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ}.

الأخنس وما أنزل فيه : والأخنس بن شَريق بن عمرو بن وهب الثقفى، حليف بني زُهرة، وكان من أشراف القوم وممن يستمع منه ، فكان يصيبُ من رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ، ويرد عليه ؛ فأنزل اللّـه تعـالى:{ وَلَا تُطِـعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ* هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ}.[القلم: 10،11] . . إلى قوله تعالى :{ زَنِيمٍ} ولم يقل : " زنيم " لعيب في نسـبه ، لأن اللّـه لا يعيـب أحـداً بنسـب ، ولكنه حقق بذلك نعتَه ليُعرف . والزنيم :العديـد[178] للقـوم . وقـد قـال الخَطِيـم التميميُّ في الجاهلية :

زنيمٌ تداعاه الرجالَ زيادةً كما زِيدَ في عرضِ الأديمِ الأكارعُ

---

[178] زنيم : قيل نزلت في الوليد بن المغيرة، وقد قبل : فـي الأسـود بـن عبد يغوث الزهري ، وقال ابن عباس : نزلت في رجل من قريـش لـه زنمتان كزنمتى الشاة . رواه البخاري بإسناده عنه وفي روايـة أخـرى أنه قال : الزنيم الذي له زنمتان مـن الشـر يعـرف بهمـا، كمـا تعـرف الشاة بزنمتها، وروي عن ابن عباس أيضاً مثل ما قال ابن إسـحاق أن الزنيم الملصق بالقوم ، وليس منهم ، قال ذلك ابن الأزرق الحروري ، وقال : أما سمعت قول حسان * زنيم تـداعاه الرجـال* الـبيت ، وقـد أنشد ابن هشام هذا البيت مستشهداً
به ،ونسبه للخطيم التميمي ، والأعرف ، أنه لحسان .

الوليد وما أنزل فيه : والوليد بن المغيرة، قال : أينْزل على محمد وأترَك وأنا كبير قريش وسيدُها! ويُترك أبو مسعود عمرو بن عُمير الثقفي سيد ثقيف ، ونحن عظيما القريتين ! فأنزل اللّه تعالى فيه ، فيما بلغني :{ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ }.[الزخرف: 31]. . إلى قوله تعالى:{ مِمَّا يَجْمَعُونَ}.[الزخرف: 32]

أبي بن خلف وعُقبة بن أبي مُعيط ، وما أنزل فيهما: وأبي ابن خلف بن وهب بن حُذافة بن جُمَح ، وعقبة بن أبي مُعيط ، وكانا متصافيين ، حَسَناً ما بينهما. فكان عقبة قد جلس إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وسمع منه ، فبلغ ذلك أبَيا، فأتى عقبة فقال : ألم يبلغني أنك جالستَ محمداً وسمعت منه ! قال : وجهي من وجهك حرام أن أكلّمَك - واستغلظ من اليمين - إن أنت جلستَ إليه أو سمعت منه ، أو لم تأته فتَتْفل في وجهه . ففعل ذلك عدو اللّه عقبة بن أبي مُعيط لعنه اللّه فأنزل اللّه تعالى فيهما:{ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا}.[الفرقان: 27] إلى قوله تعالى :{ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا}.[الفرقان: 29]

ومشى أبَيُّ بن خلف إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بعظم بال قد ارْفَتَّ فقال : يا محمد، أنت تزعم أن اللّه يبعث هذا بعد ما أرَمَّ[179] ، ثم فتَّه بيده ، ثم نفخه في الريح نحوَ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، فقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: نعم أنا أقول ذلك ، يبعثه اللّه وإياك بعدما تكونان هكذا، ثم يدخلك اللّهُ النارَ. فأنزل اللّه تعالى فيه :{ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ* قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ* الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنْ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ}[يس: 78ـ80]

---

[179] أرم : بلي.

سورة (الكافرون) وسبب نزولها : واعترض رسولَ اللّـه صـلى اللـه عليه وسلم ، وهو يطوف بالكعبة - فيما بلغنى - الأسودُ بنُ المطلب بـن أسَـد ابن عبد العُزى، والوليد بن المغيرة وأمية بن خلف ، والعاص بن وائل السهمي ، وكانوا ذَوي أسنان في قومِهم ، فقالوا: يا محمد، هلمَّ فلنعبد مـا تعبـدُ، وتعبـد ما نعبد، فنشترك نحن وأنت في الأمر، فإن كان الذي تعبد خيراً مما نعبـد، كنـا قد أخذنا بحظِّنا منه ، وإن كان ما نعبد خيراً مما تعبد، كنـت قـد أخـذت بحظِّـك منه . فأنزل اللّه تعالى فيهما: **{** قُلْ يَاأَيُّهَـا الْكَـافِرُونَ(1)لَا أَعْبُـدُ مَـا تَعْبُـدُونَ(2)وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ(3)وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدتُّمْ(4)وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ(5)لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**}** [الكافرون: 1ـ6]أي إن كنتـم لا تعبـدون اللّـه ، إلا أن أعبد ما تعبدون ، فلا حاجة لي بذلك منكم لكم دينكم جميعاً، ولى دينى[180].

أبو جهل وما نزل فيه : وأبو جهل بـن هشـام ، لمـا ذكـر اللّـه عـز وجـل شجرةَ الزقوم تخويفاً بها لهم قال : يا معشر قريش ، هـل تـدرون مـا شـجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد؟ قالوا: لا ؛ قال :

---

[180] **{** قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ **}**إلى آخرها فقال :**{** لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ**}** أي : في الحال :**{** وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدتُّمْ**}** أي: في المسـتقبل ، وكـذلك :**{** وَلَا أَنْتُـمْ عَابِـدُونَ مَـا أَعْبُدُ**}** فإن قيل : كيف يقول لهم : **{** وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ**}** وهـم قـد قـالوا: هلم فلنعبد ربك ، وتعبد ربنا، كيف نفي عنهم ما أرادوا وعزمـوا عليـه ؟ فـالجواب من وجهين : أحدهما: أنه عه لم أنهم لا يفعلون ، فأخبر بما علم . الثاني : أنهم لو عبدوه على الوجه الذي قالوه ما كانت عبادة، ولا يسـمى عابـداً للّـه من عبـده سنة، وعبد غيره أخرى، انظر الموضوع مفسراً في الروض الأنف من تحقيقنا جـ 2 ص 117 .

عَجْوة يثرب بالزُّبد، واللّه لئن استمكنا منها لنتزقمنها[181] تزقما. فأنزل اللّه تعالى فيه :{ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ(43)طَعَامُ الْأَثِيمِ(44)كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ(45)كَغَلْيِ الْحَمِيمِ }[الدخان: 43ـ46]: أي ليس كما يقول.

تفسير لفظ المهل : قال ابن هشام المهل : كل شيء أذبته ، من نحاس أو رصاص أو ما أشبه ذلك ، فيما أخبرني أبو عُبيدة . وبلغنا عن الحسن البصري أنه قال : كان عبداللّه بن مسعود واليا لعمر بن الخطاب على بيت مال الكوفة، وأنه أمر يوماً بفضة فأذيبت ، فجعلت تَلَوَّنُ ألواناً، فقال : هل بالباب من أحد؟ قالوا: نعم ؛ قال : فأدخلوهم ، فأدخلوا فقال : إن أدنى ما أنتم راءون شبها بالمهل لهذا. وقال الشاعر:

يسقيه ربى حميمَ المهلِ يجرعُه يشْوِي الوجوهَ فهو في بطنِه صَهِرُ

ويقال :إن المهل : صديد الجسد .

وقال عبداللّه بن الزبير الأسدي :

فمن عاش منهم عاش عبداً وإن يمتْ ففي النارِ يُسقَى مهلها وصديدها

وهذا البيت في قصيدة له .

---

[181] الزقوم : يقال : إن هذه الكلمة لم تكن من لغة قريش، وأن رجلا أخبره أن أهل يثرب : يقولون تزقمت : إذا أكلت التمر الزبد، فجعل بجهله اسم الزقوم من ذلك استهزاء، وقيل : إن لهذا الاسم أصلا في لغة اليمن، وأن الزقوم عندهم كل ما يتقيأ منه . وذكر أبو حنيفة الدينوري في كتاب النبات : أن شجرة باليمن يقال لها: الزقوم ،لا ورق لها وفروعها أشبه شئ برءوس الحيات ، فهي كريهة المنظر، وفي تفسير ابن سلام والماوردى أن شجرة الزقوم في الباب السادس من جهنم أعاذنا الله منها، وأن أهل النار ينحدرون إليها. قال ابن سلام : وهي تحيا باللهب كما تحيا شجرة الدنيا بالمطر.

بلغنا أن أبا بكر الصديق رضي اللّه عنه لما حُضر أمر بثوبين لبيسين يغْسَلان فيُكَفن فيهما، فقالت عائشة: قد أغناك اللّه يا أبت عنهما، فاشترِي كفناً، فقال : إنما هي ساعة حتى يصير إلى المهل ، قال الشاعر:

شابَ بالماءِ منه مُهلاً كَريها ثم علَّ المتونَ بعدَ النِّهالِ[182]

قال ابن إسحاق : فأنزل اللّه تعالى فيه :{ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا} [الإسراء: 60]

ابن أم مكتوم والوليد وسورة عبس : ووقف الوليد بن المغيرة مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يكلمه ، وقد طمع في إسلامه ، فبينا هو في ذلك ، إذ مر به ابنُ أمِّ مكتوم[183] الأعمى، فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل يستقرئه القرآنَ ، فشق ذلك منه على رسول اللّه صلى الله عليه وسلم حتى أضجره ، وذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوليد، وما طمع فيه من إسلامه . فلما أكثر عليه انصرف عنه عابساً وتركه . فأنزل اللّه تعالى عليه فيه :{ عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى}.[عبس: 1،2] إلى قوله تعالى:{ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ* مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ} [عبس: 13،14] أي إنما بعثتك بشيراً ونذيرا، لم أخص بك أحداً، فلا تمنعْه ممن ابتغاه ، ولا تتصدين به لمن لا يريده[184] .

---

[182] ثاب : خلط . والعلل : الشرب بعد الشرب ، والمتون : الظهور، والنهال : جمع نهل ، وهو الشرب الأول .

[183] أم مكتوم : اسمها: عاتكة بنت عبد اللّه بن عامر بن مخزوم .

[184] الرجل الذي كان شغل رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، وأنه الوليد بن المغيرة، وقد قيل : كان أمية بن خلف ، وفي حديث الموطأ: عظيم من عظماء المشركين ، ولم يسمِّه ، وفي قوله سبحانه :{ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى} من الفقه أن لا عيب في ذكر الإنسان بما ظهرت في خلقته من عمى أو عرج ، إلا أن يقصد به الازدراء، فيلحق المأثم به ، لأنه من أفعال الجاهلين ، قال الله تعالى: { أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنْ الْجَاهِلِينَ} [البقرة: 67] وفي ذكره إياه بالعمى من الحكمة والإشارة اللطيفة ة التنبيه على موضع العتب ، لأنه قال : { أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى} فذكر المجيء مع العمى، وذلك ينبئ عن تجشم القصد إليك على ضعفه ، فحقك الإقبال عليه ، لا الإعراض عنه ، فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم، معتوبا على توليه عن الأعمى، فغيره أحق بالعتب ، مع أنه لم يكن آمناً بعد، ألا تراه يقول :{ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى}[عبس: 3]الآية، ولو كان قد صح إيمانه ، وعلم ذلك منه لم يعرض عنه رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ولو أعرض لكان العتب أشد، والله أعلم .

العائدون من أرض الحبشة

قال ابن إسحاق : وبلغ أصحابَ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، الذين خرجوا إلى أرض الحبشة، إسلامُ أهل مكة، فأقبلوا لما بلغهم من ذلك ، حتى إذا دَنَوْا من مكة، بلغهم أن ما كانوا تحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلاً، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار أو مستخفياً.

من عبد شمس : فكان ممن قدم عليه مكةَ منهم ، فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة، فشهد معه بدراً ومن حبس عنه حتى فاته بدر وغيره ، ومن مات بمكة منهم من بنى عبد شمس بن عبد مناف ابن قصي : عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، معه امرأته : رقية بنت رسول اللّه صلى الله عليه وسلم . وأبو حذيفة بن عُتبة بن ربيعة ابن عبد شمس ، وامرأته سَهلة بنت سُهَيْل .

ومن حلفائهم : عبدالله بن جحش بن رئاب .

من نوفل : ومن بني نوفل بن عبد مناف : عُتبة بن غَزْوان ، حليف لهم ، من قيس عيلان .

من أسد: ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قُصى : الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد.

من عبد الدار: ومن بنى عبد الدار بن قصي : مُصْعَب بن عُمَير ابن هاشم بن عبد مناف ، وسُوَيْبط بن سعد بن حريملة .

من عبد: ومن بنى عبد بن قصى : طُلَيب بن وهب بن عبد.

من زهرة : ومن بني زهرة بن كلاب : عبدُ الرحمـن بـن عَـوْف ابـن عبـد عوف بن عبد بن الحارث بن زُهرة. والمقداد بن عَمرو، حليف لهـم ، وعبـدالله بن مسعود، حليف لهم .

من مخزوم : ومن بنى مخزوم بن يَقَظة : أبو سَـلمة بـن عبـد الأسـد ابـن هلال بن عبدالله بن عَمرو بن مخزوم ، معه امرأته : أم سـلمة بنـت أبـى أميـة بن المغيرة، وشمَّاس بن عثمان بن الشَّريد بن سُوَيد بن هَرْمِى بـن عـامر بـن مخزوم . وسلمة بن هشام بن المغيرة، حبسه عمـه بمكـة، فلـم يقـدم إلا بعـد بدر وأحد والخندق ، وعَيَّاش بن أبي ربيعة ابن المغيرة، هاجر معه إلى المدينة، ولحق به أخواه لأمه : أبو جهل ابن هشام ، والحارث بن هشام ، فرجعا به إلـى مكة فحبساه بها حتى مضى بدر وأحد والخندق .

ومن حلفائهم : عمار بن ياسر، يُشَكُّ فيه أكان خرج إلى الحبشة أم لا؟ ومُعَتِّب بن عوف بن عامر من خزاعة .

من جمح : ومن بنى جُمَح بن عَمـرو بـن هُصَـيْص بـن كعـب : عثمـان ابـن مَظْعون بن حبيب بن وهْب بن حُذافة بن جُمَـح . وابنـه السـائب ابـن عثمـان ، وقدامة بن مظعون ، وعبدالله بن مظعون .

من سهم : ومن بني سهم بن عمرو بـن هُصَـيْص بـن كعـب : خُنَيـس ابـن حذافة بن قيس بن عدي ، وهشام بن العاص بن وائل ، حبس بمكة بعد هجـرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة حتى قدم بعد بدر وأحد والخندق .

من عدي : ومن بنى عدي بن كعب : عامر بن ربيعة، حليف لهم ، معه امرأته : ليلى بنت أبي حَثْمة بن حذافة بن غانم .

من عامر: ومن بنى عامر بن لؤي : عبداللّه بن مَخْرمَة بن عبد العُزى بن أبى قيس . وعبداللّه بن سُهَيْل بن عمرو، وكان حُبس عن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم حين هاجر إلى المدينة، حتى كان يوم بدر، فانحاز من المشركين إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فشهد معه بدراً، وأبو سَبْرة بن أبي رُهْم بن عبد العُزى، معه امرأته : أم كلثوم بنت سُهيل بن عمرو، والسكران بن عمرو بن عبد شمس ، معه امرأته : سَوْدة بنت زَمْعة ابن قيس ، مات بمكة قبل هجرة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فخلف رسول اللّه صلى الله عليه وسلم على امرأته سَوْدة بنت زَمْعة .

ومن حلفائهم : سعد بن خولة .

من الحارث : ومن بنى الحارث بن فِهر: أبو عُبَيدة بن الجراح ، وهو عامر بن عبداللّه بن الجراح ، وعمرو بن الحارث بن زُهير بن أبى شداد، وسُهَيل بن بيضاء، وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال ، وعمرو بن أبي سَرْح بن ربيعة بن هلال .

فجميع من قدم عليه مكة من أصحابه من أرض الحبشة ثلاثة وثلاثون رجلا.

من دخل مكة بجوار من مهاجري الحبشة : فكان من دخل منهم بجوار، فيمن سُمي لنا: عثمان بن مظعون بن حبيب الجُمحى، دخل بجوار من الوليد بن المغيرة، وأبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبداللّه بن عمر بن مخزوم ، دخل بجوار من أبى طالب بن عبد المطلب وكان خاله . وأم أبي سلمة : بُرَّة بنت عبد المطلب.

عثمان بن مظعون يـرد جـوار ،الوليـد: قـال ابـن إسـحاق : فأمـا عثمانُ بن مظعون فإن صالح بن إبراهيم بـن عبـد الرحمـن بـن عـوف حـدثني عمن حدثه عن عثمان ، قال : لمـا رأى عثمـان بـن مظعـون مـا فيـه أصـحاب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم من البلاء، وهـو يغـدو ويـروح فـي أمـان مـن الوليد بن المغيرة، قال : واللّه إن غُدُوِّي ورواحـى آمنـا بجـوار رجـل مـن أهـل الشرك ، وأصحابي وأهل دينى يلقون من البلاء والأذى في اللّه ما لا يصـيبني ، لنقصٌ كبير في نفسي . فمشى إلى الوليد بـن المغيـرة، فقـال لـه يـا أبـا عبـد شمس ، وفتْ ذمتُك ، قد رددتُ إليك جوارَك ، فقال له : يا بن أخى لعلـه آذاك أحد من قومي ؟ قال : لا ولكني أرضى بجوار اللّه ، ولا أريد أن أسـتجير بغيـره ؟ قال : فانطلق إلى المسجد، فاردد علىَّ جواري علانيـةً كمـا أجرتُـك علانيـة. قال : فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد، فقال الوليد: هذا عثمان قـد جـاء يـردَّ عليّ جواري ، قال : صدق ، قد وجدته وفيا كريم الجوار، ولكنى قـد أحببـت أن لا أستجير بغير اللّه ، فقد رددت عليه جوارَه ، ثم انصـرف عثمـان ، ولبيـد ابـن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب في مجلـس مـن قريـش ينشـدهم ، فجلـس معهم عثمان ، فقال لبيد:

* ألا كل شيءٍ ما خلا اللّه باطلُ *[185]

---

[185] هنا سؤال واحد، وهو قول رسول اللّه صلى الله عليـه وسـلم : أصـدق كلمة قالها الشاعر قول لبيد: يقصد هذا البيت .
فصدقه في هذا البيت وهو - عليه السلام - يقول في مناجاته : " أنت الحـق، وقولك الحق ، ووعدك الحق ، والجنة حق ، والنـار حـق ، ولقـاؤك حـق ". فكيف يجتمع هذا مع قوله :
* ألا كل شيء ما خلا الله باطل *
فالجواب ذو وجهين . أحدهما: أن يريد بقوله : ما خلا الله: ما عداه ، وعـدا رحمته التي وعد بها من رحمه ، والنار ومـا توعـد بـه مـن عقـابه ، ومـا سوى هذا فباطل أي : مضـمحل . والجـواب الثـاني : أن الجنـة والنـار وإن كانتا حقا، فإن الزوال عليهما جائز لذاتهما، وإنما يبقيان بإبقاء اللّه لهما، وأنه يخلق الدوام لأهلهمـا علـى قـول مـن جعـل الـدوام والبقـاء معنـى زائـداً علـى الـذات ، وهـو قـول الأشـعري ، وإنمـا الحـق علـى الحقيقة من لا يجوز عليه الزوال ، وهـو القـديم الـذي انعـدامه محـال؛ ولذلك قال عليه السلام : " أنت الحق " بـالألف واللام ، أي المسـتحق لهذا الاسم على الحقيقة، " وقولـك الحـق "؛ لأن قـوله قـديم ، وليـس بمخلوق فيبيد، " ووعدك الحق "، كذلك لأن وعده كلامه، هـذا مقتضـى الألف واللام ، ثم قال : " والجنة حق ، والنار حق " بغيـر ألـف ولام ، " ولقاؤك
حق " كذلك ، لأن هذه أمور محدثات والمحدث لا يجب له البقاء من جهة ذاته ، وإنما علمنا بقاءها من جهـة الخـبر الصـادق الـذي لا يجـوز عليـه الخلـف ، لا مـن جهـة استحالة البقاء عليها، كما يستحيل على القديم - سبحانه - الذي هو الحـق ، ومـا خلاه باطل ، فإما جوهر وإما عرض ، وليس في الأعراض إلا ما يجـب لـه الفنـاء، ولا في الجوهر إلا ما يجوز عليه الفناء والبطول ، وإن بقي ولـم يبطـل فجـائز أن يبطل ، وأما الحق - سبحانه - فليس من الجواهر والأعراض : فاستحال عليه مـا يجب لهما، أو يجوز عليهما - واللّه أعلم .

قال عثمان : صدقت . قال لبيد:

" وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ "

قال عثمان : كذبت ، نعيم الجنة لا يزول . قال لبيد بن ربيعة : يا معشر قريش، واللّه ما كان يُؤذَى جليسكم ، فمتى حدث هذا فيكم ؟ فقال رجل من القوم : إن هذا سفيه في سفهاء معه ، قد فارقوا ديننا، فلا تجدن في نفسك من قوله ، فرد عليه عثمان حتى شَرِيَ[186] أمرُهما، فقام إليه ذلك الرجل فلطم عينَه فخضَّرها، والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان ، فقال : أما واللّه يابن أخي كانت عينُك عما أصابها لغنية، لقد كنت في ذمةٍ منيعة . قال : يقول عثمان : بل واللّه إن عينى الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في اللّه ، وإني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس ، فقال

---

[186] شري : كثر وزاد.

له الوليد: هلم يابن أخى، إن شئت فعد إلى جوارك ، فقال : لا.

أبو سلمة في جوار أبي طالب : قـال ابـن إسـحاق : وأمـا أبـو سَلَمة بن عبد الأسد، فحدثنى أبى : إسحاقُ بن يَسار عن سَلمة بن عبداللّه بـن عمر بن أبى سلمة أنه حدثه : أن أبا سلمة لما استجار بأبي طالب ، مشى إليه رجال من بنى مخزوم ، فقالوا: يا أبا طالب ، لقد منعتَ منا ابنَ أخيـك محمـداً، فما لك ولصاحبنا تمنعه منا؟ قال : إنه استجار بى، وهو ابن أختي ، وإن أنـا لـم أمنع ابنَ أختي لم أمنع ابنَ أخى، فقام أبو لهب فقال : يا معشر قريش ، واللّـه لقد أكثرتم على هذا الشيخ ، ما تزالون تتواثبون عليه في جوارِه من بين قومه ، واللّه لتنتهن عنه أو لنقومن معه في كلِّ ما قام فيه ، حتى يبلغَ ما أراد. قـال : فقالوا: بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبةَ، وكان لهـم وليـا وناصـرا علـى رسـول اللّه صلى الله عليه وسلم، فأبقوا على ذلك ، فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول ما يقول ، ورجا أن يقوم معه في شأن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو طالب يحرِّض أبا لهب على نُصرتِه ونصـرة رسـول اللّـه صـلى اللـه عليه وسلم:

وإن امرأً أبو عُتَيْبة عَمُّـــه لفي روضةٍ ما إن يُسامُ المَظالمَا
أقول له ، وأين منه نصيحتـي أبا مُعْتب ثبتْ سوادَك قائمَا[187]
ولا تقبلنَّ الدهرَ ما عشتَ خُطـةً تُسَب بها إما هَبطت المواسما
وولِّ سبيلَ العجزِ غيرَك منهـمُ فإنك لم تُخلَقْ على العجزِ لازما
وحاربْ فإن الحربَ نُصْف وما ترى أخا الحربِ يُعطى الخسْفَ حتى يُســـالما
وكيف ولم يَجْنُوا عليكَ عظيمـةً ولم يخذلوك غانماً أو مُغارِما
جزى اللّهُ عنا عبدَ شمسٍ ونَوْفـلاً وتَيْماً ومخزوماً عُقوقا ومأثما
بتفريقِهم من بعدِ وُد وألفَـــةٍ جماعتنا كيما ينالوا المحارِما

---

[187] سوادك : شخصك .

كذبتم وبيتِ اللّه نُبزَى محمداً ولما تَرَوْا يوماً لدى الشِّعْب قائما

قال ابن هشام : نبزى : نسلب . **قال ابن هشام :** وبقى منها بيت تركناه .

دخول أبى بكر في جوار ابن الدغنة ثم رده عليه : قال ابن إسحاق :

وقد كان أبو بكر الصديق رضي اللّه عنه ، كما حدثني محمد بن مُسلم الزهري عن عُروة عن عائشة رضى اللّه عنهما، حين ضاقت عليه مكة وأصابه فيها الأذى، ورأى من تظاهر قريش على رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما رأى، استأذن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم في الهجرة فأذن له ، فخرج أبو بكر مهاجراً، حتى إذا سار من مكة يوما أو يومين ، لقيه ابن الدُّغُنَّة، أخو بني عبد مناة بن كنانة، وهو يومئذ سيد الأحابيش[188].

قال ابن إسحاق : والأحابيش: بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة، والهون بن خُزيمة بن مُدركة، وبنو المصطلق من خزاعة .

قال ابن هشام : تحالفوا جميعاً، فسُموا الأحابيش للحلف . ويقال : ابن الدّغينة .

قال ابن إسحاق : حدثني الزهري ، عن عروة، عن عائشة رضى اللّه عنها قالت : فقال ابن الدُّغُنة: أين يا أبا بكر؟ قال : أخرجني قومى وآذونى، وضيقوا عليَّ ، قال : ولمَ ؟ فواللّه إنك لتَزين العشيرة، وتعين على النوائب ، وتفعل المعروف ، وتُكعبِ المعدوم[189] ، ارجع فأنت في

---

[188] ابن الدغنة، واسمه : مالك ، وهو سيد الأحابيش، وقد سماهم ابن إسحاق ، وهم : بنو الحارث وبنو الهون من كنانة، وبنو المصطلق من خزاعة تحبشوا، أي تجمعوا، فسموا الأحابيش . قيل : إنهم تحالفوا عند جُبيل ، يقال له حبشى، فاشتق لهم منه الاسم .

[189] إنك تكسب المعدوم ، يقال : كسبت الرجل مالا، فتتعدى به إلى مفعولين . هذا قول الأصمعى، وحكى غيره : أكسبته مالا، فمعنى تكسب المعدوم ، أي: تكسب غيرك ما هو معدوم عنده .

جواري . فرجع معه ، حتى إذا دخل مكة، قام ابن الدُّغنة[190] فقال : يا معشر قريش؛ إني قد أجرت ابن أبى قحافة، فلا يعرضنَّ له أحد إلا لِخير. قالت : فكفوا عنه .

قالت : وكان لأبى بكر مسجد عند باب داره في بني جُمَح ، فكان يصلى فيه ، وكان رجلا رقيقا؟ إذا قرأ القرآن استبكى. قالت : فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء، يعجبون لما يرَوْن من هيئته . قالت : فمشى رجال من قريش إلى ابن الدُّغنَّة، فقالوا: يابن الدغنة، إنك تُجِيرُ هذا الرجل ليؤذيَنا! إنه رجل إذا صلى وقرأ ما جاء به محمد يرق ويبكى؛ وكانت له هيئة ونحو؛ فنحن نتخوف على صبياننا ونسائنا وضعفتنا أن يفتنهم ؛ فأته فمرْه أن يدخل بيته فليصنع فيه ما شاء. قالت : فمشى ابن الدغنة إليه؛ فقال له : يا أبا بكر؛ إني لم أجرْك لتؤذي قومَك ؛ إنهم قد كرهوا مكانَك الذي أنت فيه وتأذوا بذلك منك ، فادخل بيتك ، فاصنع فيه ما أحببت قال : أوَأرد عليك جوارَك وأرضى بجوار اللّه ؟ قال فاردُدْ علىَّ جواري ؛ قال : قد رددته عليك قالت . فقام ابن الدُّغنَّة، فقال ، يا معشر قريش، إن ابن أبى قحافة قد ردَّ علىَّ جواري فشأنكم بصاحبكم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبدُ الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم ابن محمد، قال : لقيه سفيه من سفهاء قريش، وهو عامد إلى الكعبة، فحثا على رأسه تراباً. قال : فمرَّ بأبي بكر الوليد بن المغيرة، أو العاص بن وائل . قال : فقال أبو بكر: ألا ترى إلى ما يصنع هذا السفيه ؟ قال : أنت فعلتَ ذلك بنفسك . قال : وهو يقول : أي رب ، ما أحلمك ! أي رب ، ما أحلمك ! أي رب ، ما أحلمك !.

---

[190] الدغنة : اسم امرأة عرف بها الرجال .

حديث نقض الصحيفة

هشام بن عمرو يسعى في نقض الصحيفة : قال ابن إســحاق : وبنو هاشم وبنو المطلب في منزلهـم الـذي تعاقـدت فيـه قريـش عليهـم فـي الصحيفة التي كتبوها، ثم إنه قام في نقـض تلـك الصـحيفة الـتي تكـاتبت فيهـا قريش علي بنى هاشم وبنـى المطلـب نفـرٌ مـن قريـش، ولـم يُبـل فيهـا أحـد أحسن من بلاء هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحـارث بـن حُـبيب بـن نصـر بـن جُذَيمة بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤي ، وذلك أنه كان ابن أخي نَضْلة بــن هاشم بن عبد مناف لأمه ، فكان هشام لبنى هاشم واصلا، وكان ذا شرف فـي قومه ، فكان - فيما بلغنـي - يـأتي بـالبعير[191]، وبنـو هاشـم وبنـو المطلـب فـي الشِّعْب ليلاً، قد أوقره طعاماً حتى إذا أقبل به فـم الشِّـعْب خلـع خطـامه مـن رأسه ، ثم ضرب على جنبه ، فيدخل الشِّعْب عليهم ثم يأتى به قد أوقره بزاً أو براً، فيفعل به مثل ذلك .

قال ابن إسحاق : ثم إنه مشى إلى زُهير بن أبى أميـة بـن المغيـرة ابـن عبداللّه بن عُمر بن مخزوم . وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلـب ، فقـال : يـا زُهير، أقد رضيت أن تأكل الطعـام وتلبـس الثيـابَ ، وتَنكـح النسـاء، وأخوالُـك حيث قد علمتَ ، لا يُباعون ولا يُبتاع منهم ، ولا يَنكحون ولا يُنكح إليهم ؟ أما إني أحلف باللّه أن لو كانوا أخوالَ أبي الحكم بن هشـام ، ثـم دعـوته إلـى مثـل مـا دعاك إليه منهم ، ما أجابك إليه أبدا، قال : ويحك يا هشام ! فماذا أصنع ؟ إنمـا أنا رجل واحد، واللّه لو كان معي رجل آخر لقمت في نقضِها حتى أنقضَها،

---

[191] ذكر أنه كان يأتي بالبعير قد أوقره " بزا " بالزاي المعجمـة، وفـي غيـر نسـخة الشيخ أبى بحر: " بـرا "، وفـي روايـة يـونس : " بـزا أو بـراً) علـى الشـك مـن الراوي .

قال : قد وجدت رجلا قال : فمن هو؟ قال : أنا ، قال له زُهيـر: أبغنـا رجلا ثالثا.

فذهب إلى المطْعِم بن عدي ، فقال له : يـا مُطعـم أقـد رضـيتَ أن يهلـك بطنان من بنى عبد مناف وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه ! أما واللّه لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنَّهم إليها منكم سراعا، قال ويحك ! فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد، قال : قد وجدت ثانيا، قال : من هو؟ قال : أنا، فقال : أبغنا ثالثاَ. قال : قد فعلت ، قال : من هو؟ قال : زُهَير بن أبي أمية، قال أبغنا رابعا.

فذهب إلى البَخْتري بن هشام ، فقال له نحواً مما قال للمُطعم ابن عـدي ، فقال : وهل من أحد يعين على هذا؟ قال : نعم ، قال : من هو؟ قال : زُهيـر بن أبى أمية، والمُطم بن عدي ، وأنا معك ، قال أبغنا خامسا.

فذهب إلى زَمْعَة بن الأسود بن المطلب بن أسد، فكلمه وذكر له قرابتهم وحقَّهم ، فقال له : وهل على هذا الأمر الذي تدعونى إليه من أحد؟ قال : نعـم ،ثم سمَّى له القوم .

فاتَّعدوا خطم الحجون[192] ليلاً بأعلى مكة، فـ اجتمعوا هنالـك . فـأجمعوا أمرَهم وتعاقدوا علـى القيـام فـي الصـحيفة حـتى ينقضـوها، وقـال زُهيـر: أنـا أبدؤكم ، فأكون أولَ من يتكلم . فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم ، وغدا زُهير بن أبي أمية عليه حُلة، فطاف بالبيت سبعا، ثم أقبل على النـاس فقـال : يـا أهـلَ مكة، أنأكل الطعام ونلبس الثيابَ ، وبنو هاشم هلْكَـى لا يبـاع ولا يبتـاع منهـم ، واللّه لا أقعدُ حتى تُشَقَّ هذه الصحيفة القاطعة الظالمة .

---

[192] الخطم :المقدمة . والحجون :موضع بأعلى مكة .

قال أبو جهل : وكان في ناحية المسجد: كذبتَ واللّه لا تُشق ، قال زَمْعة بن الأسود: أنت واللّه أكذب ، ما رضينا كتابها حيثُ كُتبت ، قال أبو البختري : صدق زَمعة، لا نرضى ما كُتب فيها، ولا نقرّ به ، قال المطعِم بن عدي : صدقتما وكذب من قال غير ذلك ، نبرأ إلى اللّه منها، ومما كُتب فيها، قال هشام بن عمرو نحوا من ذلك . فقال أبو جهل : هذا أمر قُضِيَ بليلٍ ، تَشُوورِ فيه بغير هذا المكان . وأبو طالب جالس في ناحية المسجد، فقام المطْعِم إلى الصحيفة ليشقَّها، فوجد الأرَضَة قد أكلتها، إلا " باسمك اللهم".

شلت يد من كتب الصحيفة: وكان كاتب الصحيفة منصور[193] ابن عكرمة . فشُلت يده فيما يزعمون .

إخباره عليه الصلاة والسلام بأكل الأرضة الصحيفة : قال ابن هشام : وذكر بعضُ أهل العلم : أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قال لأبي طالب :يا عم؛ إن ربي اللّه قد سلط الأرضة على صحيفة قريش، فلم تدعْ فيها اسما هو للّه إلا أثبتته فيها، ونفت منه الظلم والقطيعة والبهتان؛ فقال : أربُّك أخبرك بهذا؟ قال : نعم ، قال : فواللّه ما يدخل عليك أحدٌ ، ثم خرج إلى قريش، فقال : يا معشر قريش ، إن ابن أخى أخبرني بكذا وكذا، فهلمّ صحيفتكم ، فإن كان كما قال ابن أخى فانتهوا عن قطيعتنا، وانزلوا عما فيها، وإن يكن كاذبا دفعت إليكم ابن أخى، فقال القوم : رضينا. فتعاقدوا على ذلك . ثم نظروا. فإذا هي كما

---

[193] قد ذكر أن منصور بن عكرمة كان كاتب الصحيفة، فشلَت يده ، وللنساب من قريش في كاتب الصحيفة هو: بغيض بن عامر بن هشام بن عبد الدار، والقول الثاني : أنه منصور بن عبد شرحبيل بن هشام من بني عبد الدار أيضا، وهو خلاف قول ابن إسحاق ، ولم يذكر الزبير في كاتب الصحيفة غير هذين القولين ، والزبيريون أعلم بأنساب قومهم .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . فزادهم ذلك شرّاً. فعند ذلك صنع الرهْط من قريش في نقض الصحيفةِ ما صنعوا[194].

قال ابن إسحاق : فلما مُزقت الصحيفة وبطل ما فيها. قال أبو طـالب ، فيما كان من أمر أولئك النفر الذين قاموا في نقضها يمدحهم :

ألا هل أتى بَحْرِيَّنا صُنْعُ ربنا على نأيهم واللّهُ بالناسِ أرْوَدُ[195]
فيخبرهم أن الصحيفةَ مُزقت وأنْ كلُّ ما لم يَرْضه اللّه مُفسِد
تراوحها إفك وسحر مجمَّعٌ ولم يُلفَ سِحر أخر الدهر يَصْعَد
تداعى لها من ليس فيها بقرقر فطائرها في رأسها يتردد[196]

---

[194] وذكر ما أصاب المؤمنين مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم في الشعب من ضيق الحصار لا يُبايعون ولا يُناكحون ، وفي الصحيح : أنهم جهدوا حتى كانوا يأكلون الخبط وورق السمر، حتى إن أحدهم ليضع كما تضع الشاة، وكان فيهم سعد بن أبي وقاص . روي أنه قال : لقد جُعت ، حتى أنى وطئت ذات ليلة على شيء رطب ، فوضعته في فمي وبلعته ، وما أدري ما هو إلى الآن . وفي رواية يونس : أن سعداً قال : خرجت ذات ليلة لأبول ، فسمعت قعقعة تحت البول ، فإذا قطعة من جلد بعير يابسة، فأخذتها وغسلتها، ثم أحرقتها ثم رضختها، وسففتها بالماء، فقويت بها ثلاثا، وكانوا إذا قدمت العير مكة يأتى أحدهم السوق ليشتري شيئا من الطعام لعياله ، فيقوم أبو لهب عدو اللّه ، فيقول : يا معشر التجار: غالوا على أصحاب محمد، حتى لا يدركوا معكم شيئا، فقد علمتم مالي ووفاء ذمتي ، فأنا ضامن أن لا خسار عليكم ، فيزيدون عليهم في السلعة، قيمتها أضعافا حتى يرجع إلى أطفاله ، وهم يتضاغون من الجوع ، وليس في يديه شئ يطعمهم به ، ويغدو التجار على أبي لهب ، فيربحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس ، حتى جهد المؤمنون ، ومن معهم جوعاً وعرياً.

[195] بحرينا: يعنى الذين بأرض الحبشة، نسبهم إلى البحر لركوبهم إياه . أود: أي : أرفق ، ومنه : رويدك ، أي رفقاً جاء بلفظ التصغير؛ لأنهم يريدون به تقليلا أي : ارفق قليلا، وليس له مكبر من لفظه .

[196] من ليس فيها بقرقر: أي : ليس بذليل ، لأن القرقر: الأرض الموطوءة التي لا تمنع سالكها، وجوز أن يريد به : ليس بذى هزل ، لأن القرقرة الضحك .. وطائرها في رأسها يتردد. أي : حظها من الشؤم والشر، وفي التنزيل : {وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ}.[الإسراء: 13]

وكانت كفاء رقعةٍ بأثيمــة ليقطع منها ساعد ومقلد[197]
ويَظْعنُ أهلُ المكَّتين فيهربوا فرائصُهم من خشيةِ الشرِّ تَرْعَد
ويُتْرَك حَرَّات يقلب أمــرَه أيتهم منهم عند ذاك ويُنجِدُ[198]
وتصعد بين الأخْشَبَيْن كتيبةٌ لها حُدُج سهم وقوس ومِرْهد[199]
فمن يَنَش من حصَّار مكة عزه فعِزتنا في بطن مكة أتلدُ
نشأنا بها والناسُ فيها قلائـل فلم ننْفكك نزداد خيراً ونُحمد
ونُطعم حتى يترك الناسُ فضلَهم إذا جعلت أيدي المُفيضين ترعَد[200]
جزى اللّه رهطاً بالحَجون تتابعوا على ملإٍ يهدي لحزم ويُرشِد
قُعوداً لدى خَطْمِ الحَجون كأنهم مقاولةٌ بل هم أعزُّ وأمجدُ[201]
أعـان عليهـا كـلُّ صـقر كأنــه إذا مـا مشـى فـي رَفْـرفِ الـدرعِ أحـردُ[202]
جرى على جُلَّى الخطوبِ كأنه شِهاب بكَفّيْ قابسٍ يتوقدُ[203]
من الأكرمين من لُؤيِّ بن غالب إذا سِيم خسفاً وجهُه يتربَّدُ
طويلُ النِّجاد خارجٌ نصف ساقِه على وجهِه يُسْقَى الغَمامُ ويُسْعَد
عظيمُ الرمادِ سيدٌ وابنُ سيــدٍ يَحُضُّ على مَقرَى الضيوفِ ويحْشِدُ
ويبني لأبناءِ العشيرةِ صالحـاً إذا نحن طُفنا في البلادِ ويَمْهَدُ

---

197 المقلد: العنق .

198 الحراث : المكتسب .

199 الحدج : الحمل . والمرهد: الناعم أي السيف الناعم بالري من الدماء.

200 المفيضون : الضاربون بقداح الميسر.

201 المقاولة : الملوك .5

202 رفرف الدرع : ما فضل منه . وقيل في معنى : رفـرف خضـر: فضـول الفرش والبسط ، وهو قول ابن عباس ، وعن على أنها: المرافق ، وعن سعيد بن جبير: الرفارف : رياض الجنة.. والأحرد الذي في مشيه تثاقـل ، وهو سن الحرد وهو: عيب في الرجل .
وقيل بطيء المشي لثقل ما عليه من لباس الحرب .

203 الجلي : الأمر العظيم .